العدد السادس

جمادى الأولى ١٤٣٠

مجلة التوحيد

مجلة دورية شهرية تصدر عن منتدى التوحيد

WWW.ELTWHED.COM

▪ فضل التوحيد وأهميته
الشيخ أبو عبد الرحمن الأزدي

▪ المقامة التبشيرية
أ. عبد الإله الفايزي

▪ العلمانية الصلبة والعلمانية اللينة
د. أحمد إدريس الطعان

القاديانى والسيخ

بقلم أ. فؤاد العطار

محتويات العدد

أحكام الحيض والنفاس	٦
الدعوة إلى الله	١٠
الأسرة المسلمة	١٤
الأسرة المسلمة	١٨
الأسرة المسلمة	٢٢
الأسرة المسلمة	٢٦
الأسرة المسلمة	٣٠
الأسرة المسلمة	٣٤
الأسرة المسلمة	٣٨
الأسرة المسلمة	٤٢

مجلة منتدى التوحيد

مجلة دورية تصدر كل شهر

تأسست عام

١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م

تصدر عن موقع

منتدى التوحيد

www.eltwhed.com

العدد السادس

جمادى الأولى ١٤٣٠ هـ

فريق التحرير

مراقب ٢

عبدالإله الفايزي

muslimah

قرآن الفجر

فريق التصميم

أبو عمر الأنصاري

المراسلات

altwhed_com@yahoo.com

افتتاحية العدد

لا تزال النفس البشرية كاذبة في دعاوى تدعيها لنفسها وأولها ادعاء الفضيلة والحرص على خدمة الإنسان، وظاهر ذلك في مستحدثات المبادئ التي تقوم على أصول -لا تثبت- تنص على أمور سامية، وتدور حول رمز محترم ليتشكل من ورائها ديانة أو مذهب أو طريقة، لا تكاد تحتشد حولها الأتباع والمغدورون حتى يُطل الواقع بثقله كشاهد عيان على أصحاب تلك المبادئ وسدنتها بأنهم السبّاقون إلى اختراقها وتجاوزها، وتبقى الجماهير المصدقة لفروع هذه الديانات أو ما دونها ومعسول دعاويها غافلة أو سكرى بطقوس الديانة فلا تعي حقيقة ما يرتكبه أولئك السدنة ليعرفوا حقيقة الكذب الذي تخفيه أنفسهم من حيث لا ينفك أحدهم عن طبيعته البشرية بطلب حيازة المال أو إشباع الشهوات البدنية والنفسية، ويظلون ضحية ذلك الخداع والتدليس حتى تذهب أموالهم وأعراضهم في أحيان كثيرة.

وفي ظل تكرار مشاهد التعدي على المبادئ من كبار السدنة يبقى الناس أمام مطلب يؤمن به العقلاء وأهل الإسلام بشكل خاص ولكنه لا يزال باقياً من غير دعاة له حتى هذه الساعة، وهو لا يخرج عن طور السؤال المنطقي في مثل هذه الظروف: إلى متى يحدث هذا؟ إنه السؤال الذي يسبق قرينه الحتمي: لماذا يحصل هذا؟ وقد يبدو ترتيب السؤالين مقلوباً غير أنه لا حاجة للسؤال الثاني إلا عند البعض وتبقى الحاجة للسؤال الأول قائمة عند الجميع!

إن الحاجة إلى الانتفاضة على تشكل المذاهب بتكرار لا يتوقف هي الحاجة نفسها إلى إيقاف هدر

المقدرات والطاقة، إذ أن إشغال الناس بالأفكار ملهاة لهم عن الحق الذي يدورون حوله ولا يصلون إليه، إما للعصبية أو لتسارع الصدام بين ما كان وما يراد له أن يكون حتى لا يجد العاقل فرصة يلتقط فيها أنفاسه ويطلق بها عنان تأملاته وأفكاره للبحث عن الحقيقة المطلوبة.

ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك، هذا خبر من الله - سبحانه وتعالى - يتحتم معه اليقين بأن سنة التدافع قائمة على مبدأ الصراع بين الحق والباطل، وبين الباطل والذي أبطل منه، ما دامت السموات الأرض إلى أن تقوم الساعة، وحتى يقف نشاط إبليس في هذه الدنيا. ولا تكاد تَتَبَهَّت غواية في نفوس الناس إلا ويحدث لهم إبليس غواية جديدة، تختلف مسمياتها وتتفق في حقائقها، وقاسمها المشترك تعظيم مخلوق ليفرض نفسه على مخلوق مثله؛ فلا تجد ديانة إلا والمتدينون بها ملزمون برضا كبرائها إذا ما أرادوا التعبد والقبول، وناتج ذلك ظاهر في تعطل منافع الناس الحياتية وتخلفهم الحضاري، حتى إذا انتفض الناس على عبوديتهم لهؤلاء المخلوقين مثلهم أضاءت دنياهم بالحضارة وانتهضت منافعهم تنمو وتتطوّر، ومن هذا كان استدراك إبليس لإفاقة الناس وتطلعهم نحو التحرر من عبودية الخلق متجهاً إلى مبدأ الحرية دون قيد، واللادينية مطلقاً تحت مسمى العلمانية والليبرالية وماشئت من أصناف المذاهب التي تشترك في شيء واحد هو الإلحاد!

نتج عن التحرر من قيود الديانات المخترعة نهضة في شتى المجالات الحياتية وتحسنت الأحوال المعيشية للناس من بعد الفقر والكَبَد، وهذه النهضة التي بدأت تعيشها الشعوب اليوم عندما اتجهت إلى علمانيتها بدلاً من عبوديتها للمخلوقين -ولو ادعى متألهتهم أنهم يعبدون الله سبحانه - من بعد أن كانوا في ظلماتهم يعمهون كانت قائمة ومزدهرة في عصور الإسلام الذهبية في الشام والعراق ومصر والأندلس، وكان المسلمون في الأندلس في حالة ازدهار لا يُضاهى، وبجوارهم في أوروبا حالة ضياع وانهيار تام بتسلط الكنائس والإقطاعيات الحاكمة، حتى انتفضت أوروبا على نصرانيتها وإقطاعييها فازدهرت حياتهم وتغيرت ولحقوا متأخرين بما كان المسلمون ينعمون به يوم كانوا هم في عصور الظلام يترنحون!

إن هذه المقارنة بين الإسلام في عصور نهضته ومحافظته على مبادئه كدين يلتزم أهله به، وبين النهضة الأوربية وانتفاضها على دينها كدين يحول بينها وبين النهضة حتى خرج مفكروها ومؤرخوها زاعمين أن الانتقال من الوثنية إلى التدين كان سببا في حلول الظلام، وما علموا أن

الوثنية هي الوثنية ولا يشترط فيها عبادة الجمادات إذ أن عبادة البشر وثنية كذلك، هاتان النهضتان دافع مهم لبحث حقيقة النهضة وارتباطها بالدين، فلماذا نهضت أمة هنا بهذا الدين، ولم تنهض أمة هناك إلا بالثورة على ذاك الدين؟!

هنا نستطيع أن نقول بكل وضوح أن نهضة أوروبا قامت حين تخلص الناس من عبودية المخلوقين، وهذا ظاهر بنص القرآن الكريم الذي ينتقد أهل كل الديانات الذين ﴿ اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللّهِ ﴾ وهم يظنون أنهم لا يعبدونهم، فبين النبي ﷺ كيف تكون عبادتهم حين أخبر أنهم يحرمون عليهم الحلال ويحلون لهم الحرام فيطيعونهم، وهؤلاء الأحبار بتشريعهم للشرائع من دون الله لن ينفكوا عن استغلال أولئك الناس بما يعود عليهم مادام أنهم وجدوا السبيل إلى ذلك قائماً، ونعلم هنا أن نهضة الإسلام في عصوره الذهبية كانت بخلاصهم من عبودية المخلوقين أياً كان شكل تلك العبودية والتي أدناها تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرم الله، إذ لا تقف عبودية الناس لله أمام نهضتهم بل هي سر نجاحها وحمايتها من الزلل الذي تُعاني منه نهضة اليوم، ويبقى تحرر الناس من عبودية المخلوقين سبب في النهضة التي قد تزيغ إذا لم تكن لها في العبودية لله قدم صدق تحفظ به مسيرتها.

وتبقى المبادئ مقدسة بقدسية المنشئين لها، وباقية ببقائهم فدين الله باقٍ لأنه يستمد بقاءه من الحي الذي لا يموت، وأديان المخلوقين تنهض معهم ثم تموت حقيقتها بموتهم فتنحرف وتزيغ ويركبها شيطان الاستغلال ليحرفها في مصالحه ونزواته، ومن ثم اتسم (التوحيد) لله بالثبات من لدن آدم إلى اليوم وسيبقى إلى قيام الساعة، واتسم الشرك والإلحاد بالتلون والتغيير من لدن قوم نوح إلى اليوم وسيبقى كذلك إلى قيام الساعة، والعاقل من اختار ديناً مبدؤه قادر على الثبات ودافع إلى النهضة، وليس بعاقل من تبدل الشرك والإلحاد بالإيمان، واختار سبيلاً لو كان به نهضة لكان منها وبال مثلما نراه اليوم.

فضل التوحيد وأهميته

بقلم فضيلة الشيخ أبو عبد الرحمن الأزدي
كلية الحديث - الجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد اللهُ فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد،

فهذه جمل مفيدة وكلمات سديدة في فضل التوحيد وأهميته لشد همة العاقل لتعلُّمِ هذا العلم والعمل به، اخترتُ غالبُها من كلام شيخ الإسلام **ابن تيمية** إلا الفصل الأخير.

قال **ابن تيمية** في"**المجموع**":

من كان في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم، أو نهمة في العبادة ، يكون البحث في باب الإيمان، والأسماء والصفات، ومعرفة الحق فيه، أكبر مقاصده، وأعظم مطالبه

وإليك هذه الكلمات المفيدة.

التوحيد أفضل العلم

هو أشرفُ العلوم على الإطلاق، كيف لا وهو يتعلق بالله وما له من الأسماء والصفات والحقوق، فليس الأفضلُ والأشرفُ هو الذي ينفع في وقت دون وقت، بل الأنفعُ ما يحتاجه العبد في كل وقت، فللعبدِ في كل وقت عبودية، فالموفقُ من وضع كلَّ عبودية في وقتها.

والعلم بالله أفضل من العلم بخلقه، ولهذا كانت آية الكرسي أفضلَ آية في القرآن الكريم لأنها صفة الله تعالى، وكانت قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن.

حقيقة التوحيد

فالله خلق الخلق لتوحيده، والتوحيد حقيقتُه تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله، فهو رأس الأمر وأصل الدين الذي لا يقبل الله من الأولين والآخرين دينا غيره، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب كما قال تعالى:

وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا
أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ
[Đđ : ƨƨƤƨ!ƒ]

وقال تعالى:

وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي
إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
[Đđ : ĆĝĥŭjÜƒ]

وقال تعالى:

وقد ذكر الله ﷻ عن كل من الرسل أنه افتتح دعوته بأن قال لقومه: **اعبدوا الله ما لكم من إله غيره**.

التوحيد أول ما يؤمر به وآخر ما يختم به

فلا شيء مقدمٌ قبل التوحيد ولا بعده، فالتوحيد هو أول الدين وآخرُه، فأول ما دعا إليه الرسول ﷺ شهادة أن لا إله إلا الله، وقال: ﴿ **أُمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله** ﴾ ، وقال **لمعاذ**: ﴿**إنك تأتي قوما أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** ﴾ الحديث.

وختم الأمر بالتوحيد، فقال في الصحيح من رواية **مسلم** عن **عثمان**: ﴿**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة**﴾، وفي الحديث الصحيح من رواية مسلم عن أبي هريرة: ﴿ **لقنوا موتاكم لا إله إلا الله** ﴾ ، وفي السنن من حديث **معاذ** ﴿ **من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة** ﴾ .

التوحيد أصلُ الحسنات

والتوحيد أصل الحسنات، فلا تقبل حسنة قبله، بل هو أحسن الحسنات كما تظاهرت الدلائل على ذلك، كما أن أسوأ السيئات هو الشرك.

التوحيد أفضل الكلام

والتوحيد أفضل ما نطق به الناطقون كما قال النبي ﷺ : ﴿ **أفضل الذكر لا اله إلا الله** ﴾ .

ولهذا كانت كلمة التوحيد أفضلَ الكلام وأعظمَه، فأعظم آية في القرآن آية الكرسي ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . . . . ﴾ [Ďđđ :lƨlh!f]

حصول السعادة والغنى بالتوحيد

فبالتوحيد يقوى العبد ويستغني، ومَن سَره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله.

وبالتوحيد يحصل للعبد غناه وسعادتَه، وإذا أردف معه الاستغفار تمت سعادته وزال عنه ما يعذبه، ولذا قال تعالى:

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ

[čě : þđžơđž]

فبهما تكتمل سعادة المرء دنيا وأخرى.

وذلك أن الاستغفار يمحو ما بقي من العثرات، ويمحو الذنبَ الذي هو من فروع الشرك، فإن الذنوب كلها من شعب الشرك، فالتوحيد يذهب أصل الشرك والاستغفار يمحو فروعه.

التوحيد فيه الشفاء التام

فلذا من أحس بتقصير في قوله أو عمله أو حاله أو رزقه أو تقلب قلبه فعليه بالتوحيد والاستغفار، ففيهما الشفاء إذا كانا بصدق وإخلاص.

الموحد أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ

وبالتوحيد يكون أسعد الناس بشفاعة نبيه، ففي الصحيح أن **أبا هريرة** قال له (**أي الناس أسعد بشفاعتك يوم القيامة**) قال: ﴿ **من قال لا إله إلا الله خالصا من قلبه** ﴾ .

فبين أن أحق الناس بشفاعته يوم القيامة من كان أعظم توحيدا وإخلاصا لأن التوحيد جماع الدين، والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء.

التوحيد يضعف الأحوال الشيطانية

وبقوة التوحيد تضعف الأحوال الشيطانية من الإخبارات والتأثيرات. بل التوحيد حصن الله الأعظم الذي من دخله كان من الآمنين، فلا يتمكن منه الشيطان، وإن حاول إيذاءَه، وقد علم عدو الله أن الله تعالى لا يسلطه على أهل التوحيد والإخلاص، قال:

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞
إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ

[ص: ٨٢-٨٣]

فاستثنى أهل الإخلاص

فإن التوحيد يطرد الشيطان،

ولهذا حمل بعضهم في الهواء فقال لا إله إلا الله فسقط، وحيث ظهر الكفر والفسوق والعصيان قويت هذه الأحوال الشيطانية.

تفاضل الناس عند الله بالتوحيد

وكل من كان أكملَ في توحيده كان أفضلَ عند الله، إذ الأعمال تتفاضل بتفاضل ما في القلوب من التأله والمحبة والتذلل. إذ الكلمات والعبادات وإن اشتركت في الصورة الظاهرة فإنها تتفاوت بحسب أحوال القلوب تفاوتا عظيما، فترى الرجلان يُصليان وبينهما في الفضل كما بين السماء والأرض مع أن كلاهما مخلص، وذلك لما قام في قلب كل منهما من أنواع العبودية لله أثناء صلاته، ولذا أدرك السلف أنهم لا يدركون فضل الصحابة لكمال توحيدهم رضي الله عنهم كما قال **الحسن**: «ما سبقنا أبو بكر بكثير صلاة ولا صيام، لكن بشيء وقر في قلبه».

التوحيد يكفر الذنوب

كما في حديث صاحب البطاقة الذي يؤتى يوم القيامة فوضعت سجلات أعماله في إحدى كفتي الميزان، ووضعت البطاقة في الكفة الأخرى، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، فلا يثقل مع اسم الله شيء، فهذا لمّا اقترن بهذه الكلمة من الصدق والإخلاص والصفاء وحسن النية عظمت تلك الكلمة، فلم يبق معها شي من الذنوب، ما ذاك إلا بتألهه لله لما قالها.

ومثل هذا الحديث الذي في حديث المرأة البغي التي سقت كلبا فغفر الله لها، فهذا لما حصل في قلبها من إرادة وجه الله مع شدة الرحمة بالمخلوق إذ ذاك فغُفر لها، فالتوحيد شعاع يبدد ظلمات المعاصي، فلو لم يكن من دراسة التوحيد ومعرفة معانيه وتطلب مباحثه سوى هذا المطلب لكفى.

التوحيد يفرج الكروب

والتوحيد مفرجٌ للكرب، فهو كما يقول ابن القيم :

مفزع أعدائه وأوليائه فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها، فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين، فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها، ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا، وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه، لأن الإيمان عند المعاينة لا يُقبل. هذه سنة الله في عباده، فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاءُ الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكرب العظام إلا الشرك، ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مَفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق.

القرآن كله في التوحيد

ولذا اهتم القرآن به حتى قال بعض العلماء: إن كل آية في القرآن الكريم متضمنةٌ للتوحيد، شاهدة به، داعية إليه. فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه، وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم.

اهتمام النبي ﷺ بالتوحيد وتعليمه للناس

وكان النبي ﷺ يحقق التوحيد ويعلمه أمته، فهو منذ بعثته إلى وفاته والتوحيد أعظمُ شأنه وأزكى أعماله، يدعو إليه ويعلمه أمته، ويقاتل من أجله، فقال كما في المسند: ﴿ **بعثت بالحنيفية السمحة** ﴾ ويبعث به رسله إلى الناس كما في بعث **مُعاذ**، ويراسل به الملوك، ويعلمه الوفود إذا قدموا إليه حيث قال لوفد عبد قيس حيث قال لهم: ﴿ **أتدرون ما الإيمان بالله وحده** ﴾ الحديث، ويبايع على التوحيد كما في حديث **جرير** في **البخاري**: (**بايعت رسول الله على شهادة أن لا إله إلا الله** ...الحديث) ورُبي المسلمين على التوحيد فهذا الأذان والصلاة فيها من كلمات التوحيد من الفاتحة إلى التشهد ما الله به عليم. وفي صباحه ومسائه التوحيد ملازم له كما في سيد الاستغفار: ﴿ **اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت...** ﴾ ففيه من معاني التوحيد ما لا يحصيه إلا الله، كما أفرد في شرحه **ابن تيمية**، ولا يغفل عن معاني توحيد هذا الذكر إلا من أغفل الله قلبه.

وإذا أوى إلى فراشه فالتوحيد على لسانه، فيقرأ آية الكرسي ويدعو كما في حديث البراء حيث علمه إياه: ﴿ **قُلْ اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ** ﴾ NÖüZ Sskdž أي التوحيد، فهذا الدعاء يقطر توحيدا واستسلاماً، ثم إذا انتبه من نومه بدأ بالتوحيد ويبدأ صلاته النهارية بالتوحيد، ويختمها بالتوحيد فإنه يقرأ في ركعتي الفجر بـ: قل يا أيها الكافرون والإخلاص....الخ.

وبين لهم أمر التوحيد للصغير والكبير، فها هو يعلم **ابن عباس** وهو غلام أصول العقيدة: ﴿ **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله...**...الخ ﴾

وعلم الجارية حيث قال لها أين الله فقالت: في السماء، ورغبهم في معرفة أسماء الله والعمل بمقتضاها فقال: ﴿ لله تسعة وتسعون اسماً مائة إلا واحدا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ﴾

وحذرهم من الشرك بل وسد ذرائعه حتى قال له رجل: ما شاء الله وشئت فقال: ﴿ أجعلتني لله ندا بل ما شاء الله وحده ﴾

وقال: ﴿ لا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن ما شاء الله ثم شاء محمد ﴾

ونهى عن الحلف بغير الله فقال: ﴿ من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت ﴾.

وقال: ﴿ لعن الله من ذبح لغير الله ﴾

وقال: ﴿ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ﴾

وقال: ﴿ والله لقد قلتم كما قال أصحاب موسى لموسى اجعل لنا إلها كما لهم آلهة ﴾ إلى آخر التعليمات فإنها لا تكاد تحصى.

التوحيد سبب كل خير في الدنيا

فبالجملة كما قال **ابن تيمية**:

> ومن تدبر أحوال العالم وجد كلَّ صلاح في الأرض سببه توحيدُ الله وعبادتُه وطاعةُ رسوله، وكلَّ شرٍ في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليطِ عدو وغيرِ ذلك سببه مخالفة الرسول، والدعوة إلى غير الله، ومن تدبر هذا حق التدبر وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي غيره عموما وخصوصا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

فإذا تقرر فضل التوحيد وأهميته، وأن هدي الأنبياء دعوة جميع الناس إلى التوحيد بداية ونهاية وتعاهدهم عليه فعجبٌ بعد ذلك لمن يتسمى بالداعية ولا يدعو إلى التوحيد وبدعوة تعنى بالإصلاح ولا تلقي بالاً للتوحيد، وقد خرجت دعوات جديدة تنكَّبت منهاج النبوة، ففي القرن الأخير ظهرت طوائف لم تبن دعوتها على بصيرة من كتاب الله، ولا قدوة من سنة نبيه، وخالفوا منهاج النبوة في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك والبدع والخرافات من دعاء غير الله، فطائفة استبدلتها بالسياسة، بل عرفوا شهادة التوحيد بمعنى (لا حاكم إلا الله) وطائفة أخرى استبدلتها بالسياحة في الأرض وتزكية النفوس، زعموا وعرفوا شهادة التوحيد

(بلا خالق إلا الله) فخرجوا بذلك عن الجماعة والولاية وعن منهاج النبوة في أهم وأخص وظائف النبوة والرسالة وهي(الدعوة إلى الله) بل تجد أحدهم يستهين بأمر التوحيد فيقول: (يمكن أن تعلمه في عشر دقائق) والآخر يقول: (لا نحتاج إلى التوحيد لأن الأمة كلها على ذلك) وهذا هو مبلغهم من العلم ولو علموا حقيقة ما يقرؤون من القرآن لما قالوا ذلك، مع إن من يقول ذلك ولد بين أوثان المقامات والمزارات، فلم يفرق بين الشرك والتوحيد من صغره إلى أن شب، فضلا أن الشرك الأصغر لا يكاد يسلم منه أحد إلا القليل.

قال تعالى:

وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ

[ČČĒ : ƨ ĺĂǒ]

وتجدهم مع جهلهم يستخفون بمن يدعو إلى التوحيد، قال **ابن تيمية**:

والضالون مستخفون بتوحيد الله تعالى دعاء غيره من الأموات، وإذا أمروا بالتوحيد ونهوا عن الشرك استخفوا به كما قال تعالى:

وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ
إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُم
بِذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ هُمْ كَافِرُونَ

[dĒ : CĞĥĻŨĵ]

فاستهزؤوا بالرسول لما نهاهم عن الشرك، وما زال المشركون يسبون الأنبياء ويصفونهم بالسفاهة والضلال والجنون إذا دعوهم إلى التوحيد لما في أنفسهم من عظيم الشرك، وهكذا تجد من فيه شبه منهم إذا رأى من يدعو إلى التوحيد استهزأ بذلك لما عنده من الشرك.

ومثل هؤلاء لهم نصيب من قوله تعالى:

قال **ابن القيم**: **قال أكثر المفسرين من السلف ومن بعدهم: هي التوحيد: شهادة أن لا إله إلا الله والإيمان الذي به يزكو القلب، فإنه يتضمن نفي إلهية ما سوى الحق من القلب، وذلك طهارته وإثبات إلهيته سبحانه، وهو أصل كل زكاة ونماء.**

فأسأل الله العظيم بمنه وكرمه أن يعفو عنا وعن تقصيرنا، وأن يصلح أحوالنا وأحوال المسلمين، وأن يرزقنا ويرزق المسلمين شهادة التوحيد قبل الموت، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

قال
جعفر بن سليمان:

سمعت مالك بن دينار يقول:
((كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع بالصالحين.))

lĂ5T!f t5T
ĒđĒ f

عن جعفر بن محمد:

إذا بلغك عن أخيك ما يسوؤك، فلا تغتمّ فإنه إن كان كما يقول كانت عقوبة عُجِّلَتْ، وإن كان على غير ما يقول كانت حسنة لم تعملها.

Cŭur3!f tNje!j
DĭŭžD 2ô1 YŏŘnjk
ÖmNjR!f DĭGŭžŭ! CŭNj!f
Ö!jGX!f Czn!f
đdĒ f

العلمانية الصلبة والعلمانية اللينة

بقلم د أحمد إدريس الطعان

الحمد لله الذي أكرمنا بنور الهداية ، وأخرجنا من ظلمات الغواية ، وجعل لنا في كل شيءٍ آية

وصلى الله على سيدنا محمد النبيّ الأميّ وعلى آله وصحبه صلاة دائمة بلا نهاية وبعد :

فقد حاول صاحب كتاب ***"الأسس الفلسفية للعلمانية"*** أن يستعيد إشكالية الدور الكلامية ، التي كانت موضع جدل وحوار وأخذٍ ورد بين علمائنا الأفذاذ قديماً وحديثاً، وأراد أن يوظف هذه الإشكالية من جديد لكي يخدم بها التوجهات العلمانية المعاصرة التي تزعم أنها تحتكم إلى العقل دائماً وأبداً وأنها لا ترتضي به بديلاً، وهو شعار تطرحه جُلُّ المدارس الفلسفية والفكرية الإسلامية وغيرها، فالجميع تقريباً يدعي الوصل بالعقل:

وكل يدعي وصلاً بليلى ... وليلى لا تقر لهم بذاكا

وفي هذا البحث المختصر حاولت أن ألخص قدر المستطاع أطروحة **عادل ضاهر** في كتابه الآنف الذكر ومن ثَم التعقيب عليها بالمناقشة والنقد وذلك في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول
إشكالية الدوْر بصياغة علمانية

تقدم بهذه القسمة **عادل ضاهر** في كتابه **"الأسس الفلسفية للعلمانية"**، ويعني بالعلمانية الصلبة هي تلك التي تتخذ من الاعتبارات الفلسفية أساساً لها، وبذلك تكون علمانية راسخة لا تتزعزع لأن الاعتبارات الفلسفية لا تخضع للظروف والوقائع ولا ترتبط بها[ج].

ولا يبني العلماني الصلب موقفه بناء على أية أدلة تاريخية أو اجتماعية أو سوسيولوجية أو دينية لأن كل هذه اعتبارات خاضعة للظروف والتغيرات وغير حاسمة[د]، واللجوء بالذات إلى نصوص دينية لتسويغ الموقف العلماني -كما فعل **عبد الرازق وخلف الله** وغيرهما- هو في نهاية التحليل لجوء إلى سلطة دينية ما، إما سلطة الله ﷻ نفسه، أو سلطة نبي من الأنبياء أو سلطة علماء الدين والفقهاء، وبما أن الرجوع إلى سلطة الله ﷻ مباشرة بالنسبة لنا غير ممكن إلا بواسطة الأنبياء ولا أنبياء اليوم، فإن السلطة -على هذا الشكل- بقيت للعلماء والفقهاء، وبما أن العلماء مختلفون ومتعارضون، فإننا بحاجة إلى اعتبارات مستقلة عن سلطة العلماء المتناقضة لتحكم في الموقف، وتحسم الخلاف، وليس من سلطة هنا إلا العقل، والعقل العلمي بالذات، والعقل الفلسفي بالدرجة الأولى، وحتى لو وجد أنبياء فإن التمييز بين النبي الكاذب والنبي الصادق لا يمكن إلا بطريق العقل، والفلسفة هي وسيلتنا الوحيدة للوصول إلى ذلك[د].

والخلاصة التي يريد أن يقررها **عادل ضاهر** هي : أن العلمانية الصلبة لا تقوم على اعتبارات جائزة أو ممكنة، بل على اعتبارات ضرورية، فلا الوحدة الاجتماعية، ولا الشروط التاريخية أو الاجتماعية أو الثقافية، ولا النصوص الدينية هي التي تملي على العلماني الصلب موقفه، وهذا لا يعني أنه يرفض هذه الاعتبارات، بل إنها ربما تكون حافزاً وعونًا له في موقفه، ولكن موقفه الأخير تمليه عليه اعتبارات فلسفية محضة، فهو يبني علمانيته على هذه الاعتبارات بالدرجة الأولى، وما يأتي بعد ذلك مصدقاً فليكن في المرتبة الثانية[ه].

وهذا يعني أن العلمانية الصلبة تعني أمرين أساسيين:

أولاً : أن العلاقة بين الروحي والزمني، بين الدولة والسياسة لا يمكن أن تكون أكثر من علاقة موضوعية، أي علاقة تفرضها ظروف تاريخية معينة، وعلاقة كهذه لا يمكن أن تنبع من الماهية العقدية للدين[د]. ويعني بذلك أنه حتى لو ثبت أن النبي ﷺ أقام دولة -بعكس

ما أراد **عبد الرازق وخلف الله** أن يُثبتا- فإن هذه الدولة محكومة بظروف وشروط تاريخية معينة، وليس لها أساس ديني خارج التاريخ، ومفارق للزمن والواقع.

ثانياً : أن المعرفة العملية "أي المعرفة المطلوبة لتنظيم شؤون المجتمع والسياسة والإدارة والاقتصاد والقانون لا تجد ولا يمكن أن تجد أساسها الأخير في المعرفة الدينية"[Ë]، وهذا هو تعريف عادل ضاهر للعلمانية[ë].

هذا عن العلمانية الصلبة فماذا عن العلمانية اللينة ؟

العلمانية اللينة عند **عادل ضاهر** هي التي لا تقوم على أسس فلسفية، وإنما تبحث عن مبرراتها في التاريخ والثقافة وعلم الاجتماع والنصوص الدينية، وهذه المبررات بنظره جائزة وممكنة وليست ضرورية كالأسس الفلسفية الحاسمة، ولذلك فإن علمانية هؤلاء تظل علمانية لينة، أي هشة لأن النصوص الدينية ليست حاسمة، والخلاف في تأويلها يغذي كل وجهات النظر، ولأن الشروط التاريخية والثقافية، والاجتماعية خاضعة للتغير والتطور عبر مرور الزمن[Ë].

كتاب **عادل ضاهر "الأسس الفلسفية للعلمانية"** يبلغ ٤٢٩ صفحة يقوم على جدلية العقل والنقل، وهي كما نعلم جدلية قديمة خاض فيها أعلام الفكر الكلامي الإسلامي، ومنهم من اختار أسبقية العقل على النقل تخلصاً من الوقوع في الدور، والعلمانية عند **عادل ضاهر** حتمية أو ضرورية - كما يُعبّر - للخلاص من هذه المشكلة "فالعلمانية هي الحل" عنده أيضاً - كما رأينا عند **مراد وهبة** - وهي المطلق أيضاً لأنها عنده "ضرورية"، ولكن في حين كانت عند **مراد وهبة** هي الحل لمشكلة الشرق الأوسط وقضية فلسطين، فهي عند **عادل ضاهر** الحل لأزمة العقل العربي الإسلامي المتمثلة في التردد والحيرة بين العقل والنقل.

علينا أن نحذو حذو إمامينا الجليلين **الغزالي والرازي** في تقرير آراء

العلمانية الصلبة تعني أمرين أساسيين: أولهما أن العلاقة بين الروحي والزمني هي علاقة تفرضها ظروف تاريخية معينة لا يمكن أن تنبع من الماهية العقدية للدين، وثانيهما أن المعرفة العملية المطلوبة لتنظيم شؤون المجتمع والسياسة والإدارة والاقتصاد والقانون لا تجد ولا يمكن أن تجد أساسها الأخير في المعرفة الدينية

العلمانية اللينة هي التي لا تقوم على أسس فلسفية، وإنما تبحث عن مبرراتها في التاريخ والثقافة وعلم الاجتماع والنصوص الدينية، وهي لينة في نظرهم لأن النصوص الدينية ليست حاسمة والشروط التاريخية والثقافية والاجتماعية خاضعة للتطور.

الآخرين الذين نختلف معهم قبل أن نناقشها لنتبين الخطأ فيها من الصواب[ĕ].

لقد اختار **عادل ضاهر** أن العقل أسبق من الوحي بل هو أساس الوحي، وعلى هذه القضية يقوم كتابه، فالأساس في الاعتبار العلماني هو المرجعية "إن العلمانية هي بالضرورة موقف رافض للطابع الكلياني للدولة الدينية الذي يرتبط مفهومياً بجعل الاعتبارات الدينية نهائية فيما يخص الأمور الروحية والزمنية على حد سواء... ومن المهم ملاحظة أن المعيار في كون الشخص علماني أو لا علماني ليس هو قبول المقررات الشرعية أو عدم قبوله، وإنما المعيار هو الأساس الذي يبني عليه هذا القبول، فاللاعلماني يبني قبوله على أساس ديني، والعلماني قد يقبل الشريعة، ويبني قبولَه على أساس عقلي أو خلقي، وهو بذلك يظل علمانياً"[čč].

المعيار إذن بين العلماني وغيره هو في أصل المشروعية التي يرتكز عليها مجتمع ما في تصوره لهويته وفي إرسائه لنظمه وشؤونه، ففي المجتمع الديني تُستمَد المشروعية من مصدر مفارق علوي غائب قدسي والإنسان لا مشروعية له هنا ولا شرعية فهو مجرد نائب عنه، أما في المجتمع العلماني فالمشروعية مستمدة من داخله من الإنسان المستقل بعقله والذي يُنتِج معارفه وتجاربه وخبرته ففيه المشروعية والمرجعية[čč].

ومن هنا فإن ما يرفضه العلماني هو المبادئ التي تقوم باسمها السيطرة، وليس المقصود سيطرة الدين أو رجال الدين، إن المرفوض هو أن تكون التعاليم الدينية هي التي ينبغي أن تشكل المعيار الأخير أو المرجع الأخير لكل القضايا الروحية والزمنية على حد سواء[čď].

ولذلك فالعلمانية "قد تعترف بأنه لا وجود لمؤسسة كهنوتية في الإسلام، ولكن ليس هذا ما يرفضه العلماني، لأن معيار رفضه هو كون الدين المصدر الأخير للتشريع، والمعيار الأخير للدولة الفاضلة ليس بالضرورة وجود كنيسة ، لأنها تتصل بشيء أعمق من هذا بكثير: بالطابع الكلياني للدولة الدينية، فالمرجعية المطلقة لله ﷻ سواء أكان الوسيط بيننا وبين هذه المرجعية رجال إكليروس أو أنبياء، فالقضية هي: جعل الدين في نصوصه المقدسة المرجعية النهائية للحاكم في كل مجالات الحياة"[čď]. وما دامت وجدت مرجعية دينية فسيوجد رجال دين لهم نفوذ وممارسة للسيادة، وسلطة استبدادية، وإن لم يكن للدين على مستوى التنظير تأكيد لهذه السيادة، إلا أنه من الناحية العملية والممارسة لا بد من وجود مثل هذه السيادة النفوذية وأمثلة ذلك: دور الإفتاء وعلماء الدين الإسلامي والإكراهات التي يمارسونها ضد الحكومات[čĎ]. فالكهنوت سمة لازمة لكل الأديان ولا يستثنى من ذلك الإسلام[čď].

إن ما يرفضه العلماني هو المبادئ التي تقوم باسمها السيطرة، وليس المقصود سيطرة الدين أو رجال الدين، إن المرفوض لديه هو أن تكون التعاليم الدينية هي التي ينبغي أن تشكل المعيار الأخير أو المرجع الأخير لكل القضايا الروحية والزمنية على حد سواء.

وهكذا يبدو أن تطبيق القرآن فيه تكريس لسلطة طبقة من رجال الدين وبالتالي القضاء على أحد المبادئ الضامنة لاستقلالية الإنسان، واحتكار المعرفة في الشؤون الدينية التي تهم المجتمع، ولا فرق أن نسمي هذه الطبقة التي ستحتكر فهم الدين طبقة كهنوت أو علماء أو غير ذلك، لأن النص الديني لا يفسر ذاته، فالنتيجة هي ضياع حرية الإنسان[ČĒ] وانهيار الاستقلالية المعرفية للعقل[Čē].

ولنا هنا أن نتساءل: إذا قوضنا المرجعية الإلهية والنبوية، وكرّسنا المرجعية العقلية البشرية، فسيكون للمُشرّعين البشر نفس الأهمية الكبرى، والنفوذ والسيادة والتسلط والدكتاتورية -إذا افترضنا أن هذه موجودة في المرجعية الدينية- وسيحل القانوني والمحامي بديلاً عن الشيخ والمفتي، والمغني والمطرب بديلاً للقارئ والمرتل، ولاعب الكرة بديلاً عن المفكر والعالم، والراقصة والممثل والمسرحي بديلاً عن المبدع والعبقري والمجاهد والجندي، وبالتالي فإن العلماني سوف يعود فيصبح لاهوتياً علمانياً من جديد يمارس لاهوت العلمانية وعلمانية اللاهوت بما في ذلك من تسلط وإرهاب ودكتاتورية[ČĒ] وينشأ دين علماني جديد عقيدته الرسمية هي العلمانية[Čĕ] ويرفع شعار التقدم والتنوير كإيديولوجيا تمارس سلطتها في سبيل فرض مصالحها تحت راية الرأسمالية أو الاشتراكية[ČČ] وهكذا فإننا عندما نلغي الله ﷻ لنُحل محله الإنسان في التشريع تكون خسارتنا فادحة دون أن نربح شيئاً.

ومع ذلك يظل العلماني يصر على أن "الإنسان يمكنه بدون وحي إلهي أن يتدبر شؤون دنياه"[Čč]، والمقولة التي يسعى لتفنيدها هي أن "الإسلام دين ودولة"[ČĎ].

"لأن المعرفة غير ممكنة إلا إذا قامت على أسس عقلية... فلا الوحي ولا الحدس ولا أية وسيلة أخرى قد يحلو لواحدنا أن يفترضها كمصدر للمعرفة يمكن أن تُتّخذ على أنها ذات أولوية على العقل، أو على أنها مستقلة عن العقل"[Čď]. فإن "للعقل استقلالية تامة عن كل ما يقع خارجه، فلا يمكن إخضاعه لرقابة دينية أو غير دينية، ولا يمكن لأية معايير من خارجه مهما كان نوعها ومضمونها أن تكون ذات أسبقية على معاييره"[ČĐ]، والعلماني الذي يستشهد بالقرآن أو السنة لدعم موقفه يتنازل تنازلاً كبيراً، لأن العلمانية في أساسها قائمة على أسبقية العقل على النص[Čđ]، ولأن المعيار الأخير للإلزام القانوني أو السياسي لدى العلماني ينبغي أن يكون مستمَداً من الأخلاق لا من الدين[ČĒ]، والسبب هو أن المعرفة الدينية جائزة وممكنة، أما المعرفة الفلسفية فهي ضرورية، ولا يجوز اشتقاق الجائز من الضروري[Čē].

بتقويض المرجعية الإلهية والنبوية سيصبح العلماني لاهوتياً علمانياً يُمارس لاهوت العلمانية وينشأ دين علماني جديد عقيدته الرسمية هي العلمانية.

وإذا كان الأمر كذلك "فإنه لا يمكننا من منظور عقلي أن نُلزم أنفسنا بالامتثال لأمر أو نهي ما، ينطوي عليه نص ديني معين، إلا إذا وجدنا أن هذا تماماً هو ما تُلزمنا

به الاعتبارات الأخلاقية الصحيحة ، مما يجعل العودة إلى الاعتبارات الدينية والنصوص الدينية أمراً عديم الجدوى"[ĎĚ].

ومعنى ذلك أن التوفيق بين العقل والنقل مرفوض لأنه تحصيل حاصل، فالتوفيق سيكون بين مبادئ عقلية تُوصِّل إليها عن طريق العقل، ومبادئ عقلية متَضمَّنة في نصوص نقلية ولكن ثبت صدقها أيضاً عن طريق العقل[Ďě].

المطلب الثاني
المناقشة والنقد

- لا يوجد عقل واحد متفق عليه بين البشر، فالناس تربيتهم المختلفة هي التي تشكل عقولهم، ولذلك فلا يوجد عقل مجرد يمكن الاحتكام إليه إلا في قواعده الكلية الضرورية، وهي لا تشكل تغطية كافية لكل ما يحتاجه الإنسان في حياته الدنيا من معاش ومعاملات في كل زمان ومكان.

- فالعقل إذن يختلف بين الناس طبقاً لأهوائهم وشهواتهم وتربياتهم المختلفة، وهذا ما نشاهده في الواقع حيث كلٌّ يعمل على شاكلته، وكلٌّ يفكر بحسب طريقته وتكوينه وبيئته، فالرأسمالية، والاشتراكية، والليبرالية، والفاشية، والنازية، والعدمية، كلها تزعم أن العقل هو الذي يوجهها، ونحن نرى أن الدنيا مليئة بفلسفات مختلفة منذ أفلاطون ومن قبله ومن بعده، والفلسفات الحديثة بمختلف أطيافها ورجالاتها رغم تعارضها وتناقضها أحياناً، إلا أنها جميعاً تعلن أنها تنطلق من العقل.

- والحقيقة أن ما يزعمه البشر من فلاسفة وسياسيين، ومفكرين من أن العقل هو الذي يوجههم خطأ واضح في أغلب الأحيان، لأن الأهواء والمصالح تلتبس بالعقل فيظن الجميع أن العقل هو الذي يوجههم، ولكن الحقيقة أن المنافع الشخصية والأطماع والأهواء هي التي تقود العقل وباسم العقل أيضاً!!.

- وهنا تتصارع العقول، والحقيقة أن الصراع بين المصالح والأهواء والشهوات، وليس بين العقول، ويحتاج البشر في هذه الحالة إلى المرجّح الذي يحسم للعقل تردده، ويرشده إلى صلاحه في الحال والمآل، ويفرق له بين المنفعة العاجلة، والمصلحة الكبرى، وبين الهوى الشخصي العاجل، والمبدأ الإنساني النافع، وهذا المرجح ليس إلا الوحي الصادق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يوجد منه اليوم بيد البشرية إلا نسخة واحدة صحيحة كاملة هي المتمثلة في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

- إن العقول انتهت إلى مفترقٍ التبس بطرق عديدة متشعبة، والسبب هو أن كل إنسان يرى أن هذا الطريق الذي يراه هو الصحيح لا غيره، وكلٌّ منهم يقول: الطريق من هنا!! وذلك طبقاً لتكوينه ولرؤيته ولظنونه وتوقعاته، وفي وسط هذا الخلاف المحتدّ بين الناس جاءهم الخبر الصادق وبين لهم الطريق الصحيح، وهداهم إلى الصراط المستقيم، وأنار لهم الدرب الحقيقي ودعاهم إلى سلوكه فمنهم من أجاب ووفر على نفسه كثيراً من الذهاب والإياب والحيرة والتردد، ومنهم من أصر على اختياره فذهب بعيداً ثم عاد حائراً قلقاً، ومنهم من لم يعد فقد هلك بين الوديان.

- إن الوحي لا يلغي العقل كما يزعم الخطاب العلماني بل يهديه ويرشده، ويحسم له حيرته وينقذه من الأخطار النفسية المتمثلة في الهوى والأنانية، ويعينه في تبيّن الحق من الباطل بناءً على منارات هادية ينصبها، وعلامات ساطعة يرفعها له، ويبقى للعقل دوره في النظر والتأمل والبحث.

- العقل لا يستقيل في الإسلام -كما يزعم الخطاب العلماني- بل يأخذ دوره باحثاً، متأملاً، ناظراً ولكن وراء الوحي فهو لا يعزل نفسه كلياً، كما قوّل العلمانيون الإمام **الغزالي** -رحمه الله- وإنما يعزل نفسه عن القيادة وذلك بعد أن وجد قائداً أمهر

الأهواء والمصالح تلتبس بالعقل فيظن الجميع أن العقل هو الذي يوجههم، ولكن الحقيقة أن المنافع الشخصية والأطماع والأهواء هي التي تقود العقل وباسم العقل أيضاً، والصراع إنما هو بين المصالح والأهواء والشهوات، وليس بين العقول.

الوحي لا يلغي العقل كما يزعم الخطاب العلماني بل يهديه ويرشده، ويحسم له حيرته وينقذه من الأخطار النفسية المتمثلة في الهوى والأنانية، ويعينه في تبيّن الحق من الباطل.

منه وهو الوحي، وهذه المسألة تحتاج إلى توضيح أكثر بما يلي:

هناك فرق بين الرؤية الكلامية للعلاقة بين النص والعقل، وبين الرؤية العلمانية لا بد من التنبيه إليه، وهذا الفرق يتجلى في أن الكلامي يقول بأسبقية العقل على النص حتى يثبت الوحي والنبوة، ثم بعد ذلك تنتهي قضية الدور، ويصبح العقل تابعاً للنقل، أما العلماني فإنه يرى أسبقية العقل على النقل بشكل مستمر وعلى طول الخط -كما رأينا عند **عادل ضاهر**- وهنا يصف العلماني الكلاميين المسلمين الذين يُنزلون العقل مكانته بعد النقل بأنهم نصوصيون أو دوغمائيون أو دوجماطيقيون أو حرفيون أو ظلاميون أو أرثوذكسيون أو سلفيون متزمتون، رجعيون والقائمة طويلة ونكتفي بهذا[ďČ].

وكان نصيب **الغزالي** من هذه التهم الجزافية نصيب الأسد، وصُنّفت مؤلفات خاصة بمحاربة **الغزالي**[ďč]، واعتُبر الغزالي مُكرِّسا للعقل الإسلامي المستقيل، وسبباً للجراح النازفة، وعاملاً من أهم عوامل التناقض الموجود في مجتمعنا اليوم، ومثالاً لعلماء السلطة الذين يخدمون توجهاتها وينتظرون حسناتها[ďĎ] وشكلاً لأكثر اتجاهات التراث تخلفاً ورجعية[ďď].

ونحن لسنا بصدد الدفاع عن **الغزالي** في هذا الموطن، إلا أن هذا العداء الشديد **للغزالي** يكشف لنا عن مقدار العقبة التي يشكلها **الغزالي** في وجه الفكر العلماني اليوم، كما شكلها في وجه الفكر اليوناني والغنوصي بالأمس، لقد كان -ولا يزال- شوكة في حلوق هؤلاء جميعاً تُنغّص عليهم حياتهم، فكالوا له التهم الظالمة جزافاً وبغير حساب.

إن الذي يهمنا من هذه التهم ما له علاقة بالموضوع الذي نناقشه، وهو قولهم بأن الغزالي كرس العقل الإسلامي المستقيل، فهل فعل الغزالي ذلك فعلاً؟ وما الدليل؟

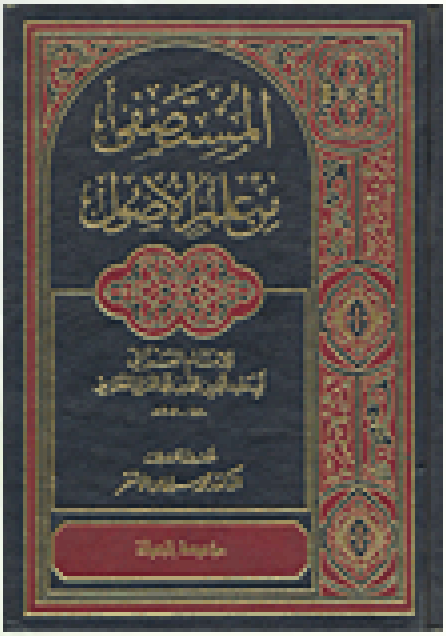

يستدل صاحب هذه المقولة[ďĐ] بقول **الغزالي** في **المستصفى** عن العقل بأنه يدل على صدق النبي "ثم يعزل العقل نفسه" وقد جاء بقول **الغزالي** هكذا مبتوراً عن سياقه وسباقه دون أي إحساس بالخيانة العلمية، وفسر ذلك بأنه تشريع لاستقالة العقل الإسلامي بدأ منذ لحظة الغزالي!! .

ولكن لنقرأ ما يقوله الغزالي في **المستصفى**

... والمتكلم هو الذي ينظر في أعم الأشياء وهو الموجود ، فيقسم الموجود أولاً إلى قديم وحادث، ثم يقسم المحدَث إلى جوهر وعرض، ثم يقسم العرض إلى ما تشترط فيه الحياة من العلم والإرادة والقدرة والكلام والسمع والبصر، وإلى ما يستغني عنها كاللون والريح والطعم، ويقسم الجواهر إلى الحيوان والنبات والجماد، ويبين أن اختلافها بالأنواع أو بالأعراض، ثم ينظر في القديم فيبين أنه لا يتكثر، ولا ينقسم انقسام الحوادث، بل لا بد أن يكون واحداً، وأن يكون متميزاً عن الحوادث بأوصاف تجب له، وبأمور

تستحيل عليه، وأحكام تجوز في حقه ولا تجب ولا تستحيل، ويفرق بين الجائز والواجب والمحال في حقه، ثم يبين أن أصل الفعل جائز عليه، وأن العالَم فعله الجائز، وأنه لجوازه افتقر إلى محدِث، وأن بعثة الرسل من أفعاله الجائزة، وأنه قادر عليه وعلى تعريف صدقهم بالمعجزات، وأن هذا الجائز واقع. عند هذا ينقطع كلام المتكلم، وينتهي تصرف العقل، بل العقل يدل على صدق النبي ثم يعزل نفسه، ويعترف بأنه يتلقى من النبي ﷺ بالقبول ما يقوله في الله واليوم الآخر مما لا يستقل العقل بإدراكه، ولا يقضي أيضاً باستحالته، فقد يرد الشرع بما يقصر العقل عن الاستقلال بإدراكه، إذ لا يستقل العقل بإدراك كون الطاعة سبباً للسعادة في الآخرة، وكون المعاصي سبباً للشقاوة، ولكنه لا يقضي باستحالته أيضاً، ويقضي بوجوب صدق من دلت المعجزة على صدقه، فإذا أخبر عنه صدّق العقل بهذا الطريق فهذا ما يحويه علم الكلام [dd].

يرى الغزالي أن دور العقل يُصبح مَقوداً بعد أن كان قائداً، ويعزل نفسه بنفسه لأنه وجد قائداً أبرع منه في القيادة، فينتقل العقل إلى منزلة الوزارة خلف النص.

إن نص **الغزالي** هذا يبين رؤيته لقضية الدوْر وإلى أين تظل سارية وأين تنتهي، وهو يمثل في ذلك الرؤية الكلامية، والفرق بينها وبين الرؤية العلمانية في هذا الملمح الدقيق، فالعقل بعد أن يكون قائداً عند المتكلمين يصبح مَقُوداً، ويعزل نفسه بنفسه لأنه وجد قائداً أبرع منه في القيادة، وأكثر تحقيقاً للسلامة، وينتهي هنا دور العقل كقائد، وليس انتهاءً بمعنى الاستقالة التامة.

إن نصوص المتكلمين تؤكد على التوافق الدائم بين العقل والنقل، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

يستحيل أن يتعارض العقل مع النقل، وأنه إذا ما حصل تعارض فإما أن الأصل العقلي فاسد، أو أن العقل عاجزٌ عن الإدراك أو أن النص لم يُفهم على وجهه المراد الصحيح.

إن من الظلم أن يوظَّف هذا النص الرائع **للغزالي** في مقولة العقل المستقيل، لأن الغزالي واضح جداً في أن العقل يُغيّر موقعه فقط من القيادة إلى الوزارة، ويتراجع إلى الخلف خطوة واحدة فقط خلف النص، لأنه اكتشف أن لمعرفته حدوداً يجب عليه أن يقف عندها، وأن لا يتجاوزها لأنه لا يفصل فيها إلا الوحي. إن هذا واضح ومُصرَّح به في كلام **الغزالي** السابق إذ أن العقل ﴿ **يعزل نفسه ويعترف بأنه يتلقى من النبي ﷺ بالقبول ما يقوله في الله ﷻ واليوم الآخر، مما لا يستقل العقل بإدراكه، ولا يقضي أيضاً باستحالته** ﴾. فالعقل لا يستقيل وإنما يعزل نفسه عن معرفة الغيب، ويترك زمامه للنص يقوده إلى شاطئ السلامة، ولو تُؤُمِّل في عبارة **الغزالي** لتبين أنها في غاية الدقة، إنه يقول: إن العقل هو الذي يعزل نفسه، وليس قرار العزل آتياً من سلطة أخرى، وبالتالي فإن قرار العزل قرارٌ عقليٌّ خاص بمجالٍ معين هو الغيب وليس استبدادياً أو قهرياً .

إن هذه الرؤية الكلامية التي يمثلها **الغزالي** لا تحتاج إلى كثير استدلال، فنصوص المتكلمين التي تؤكد على التوافق الدائم بين العقل والنقل، وموافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، تصل إلى درجة التواتر والبداهة، **والغزالي** في كل كتبه يؤكد على ملازمة العقل للنقل "أشرف العلوم ما ازدوج فيه العقل والسمع ، واصطحب فيه القرآن والشرع"[دٌĒ] كما يؤكد **الغزالي** على استحالة التعارض بين العقل والنقل، وأنه إذا ما حصل تعارض فإما أن الأصل العقلي فاسد، أو أن العقل عاجزٌ عن الإدراك ولكنه لا يحيل[دٌĕ] وهو نفسه الذي يؤكده ابن تيمية "إن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول بل بمحارات العقول فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه بل بما يعجز العقل عن معرفته"[دٌĒ] أو أن النص لم يُفهم على وجهه المراد الصحيح، ولم يقل أحد بأن النص غير صحيح أو مختَلِف أو متناقض - ونقصد بالنص هنا القرآن الكريم - بل الاتهام يوجه إلى العقل نفسه بأنه لم يستوعب الوحي كما يجب، وكل هذا يؤكد أن العقل لم يستَقِلْ وإنما أخذ موقعاً جديداً وراء النص.

ولذلك يعيب **الغزالي** على من يظن أنه لا مستند للشرع إلا قول سيد البشر ﷺ "وبرهان العقل هو الذي عرف به صدقه فيما أخبر". كذلك: "كيف يهتدي للصواب من اقتفى محض العقل واقتصر، وما استضاء بنور الشرع ولا استبصر، فليت شعري كيف يُفزَع إلى العقل من حيث يعتريه العي والحصر، أولا يعلم أن خطأ العقل قاصر، وأن مجاله ضيق منحصر، هيهات هيهات قد خاب على القطع والثبات، وتعثر بأذيال الضلالات من لم يجمع بتأليف الشرع والعقل هذا الشتات، فمثال العقل: البصر السليم عن الآفات والآذاء، ومثال القرآن: الشمس المنتشرة الضياء... فالمعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله: المتعرض لنور الشمس مُغمِض الأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور"[دٌĕ].

المعرض عن العقل مكتفياً بنور القرآن مثاله: المتعرض لنور الشمس مُغمِض الأجفان، فلا فرق بينه وبين العميان، فالعقل مع الشرع نور على نور

إن اعتبار **الغزالي** للعقل مع الشرع نوراً على نور يعني أنهما شيءٌ واحد، وفيه دلالة على الوحدة أكثر من قول ابن رشد عن الحكمة بأنها "صاحبة الشريعة... والأخت الرضيعة، وهما المصطحبتان بالطبع، المتحابتان بالجوهر والغريزة"[ÐČ]، فالأخت يمكن أن تتميز عن أختها، أما النور إذا اختلط بالنور تمازجا فلم يتمايزا. إن هذا هو ما توصل إليه باحث معاصر في كتابه: "وحدة الفكرين الديني والفلسفي" بل إنه أضاف إلى السابقين رفض مبدأ الاتصال، لأن ذلك يعني أن ثمة شيئين منفصلين يراد الوصل بينهما، والحقيقة أن العقل والوحي شيء واحد، والانفصال الحاصل يأتي من جراء التوظيف التاريخي[ÐČ].

نعم إنهما شيء واحد إذا استطاع العقل أن يتخلص من أخلاط الجسد، ويسمو إلى إشراقة الوحي، ولكن بما أن هذا في غاية الندرة فإن الوحي جاء هادياً ومرشداً ومُبَيِّناً، ومهمة العقل بعد أن يثق بالوحي هي أن يفهم هذا الوحي، ويتمعن فيه جيداً، ويحسن استنزاله من الكتاب المقروء إلى الواقع المعيش[ÐĎ].

وبذلك أظن أنه قد اتضح لنا إن إشكالية الدور التي يستعيدها الخطاب العلماني إشكالية زائفة، وخصوصاً إذا أقر هذا الخطاب بالوحي وأقر بصدقه وإعجازه، فإن الزيف يزداد بروزاً وظهوراً، إلا إذا ادعى هذا الخطاب أن النص لا مفهوم له إلا ما يُقوِّله قارئه، وليس له مفهومٌ مستقلٌ -خارجاً- يُستنبَط ضمن قواعد معينة، وهذا موضوعٌ آخر ليس هنا موضع الحديث عنه.

لعلنا يمكننا أن نؤكد الآن أن العلمانية الصلبة التي زعمها عادل ضاهر، وأقامها -كما تراءى له - على أسس فلسفية عقلية حتمية تستغني عن الوحي والنبوة والشريعة لا يمكنها أن تثبت أمام النقد والتحليل والدراسة، وأنها تنهار عند أول سؤالين: ما هو العقل؟ وما هي أسسه الفلسفية؟ وهو ما تجنبت دراسته الإجابة عليه .

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي
وعلى آله وصحبه وسلم
والحمد لله رب العالمين

د. أحمد إدريس الطعان
كلية الشريعة – جامعة دمشق
ahmad_altan@maktoob.com

هوامش المقال:

[١] انظر : د. عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية " ص ٦٢ .

[٢] انظر : السابق " ص ٦٣ – ٦٦ .

[٣] انظر : " السابق " ص ٦٦ ، ٦٧ .

[٤] انظر : " السابق " ص ٧١ .

[٥] انظر : عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية " ص ٧٤ .

[٦] السابق ص ٧٤ .

[٧] انظر : السابق ص ٦١ .

[٨] انظر : السابق ص ٧٠ .

[٩] يقول الإمام الغزالي عن منهجه في تحري الدقة في عرض مذاهب الخصوم "فجمعت تلك الكلمات ورتبتها ترتيباً محكماً للتحقيق، واستوفيت الجواب عنها، حتى أنكر بعض أهل الحق علي مبالغتي في تقرير حجتهم، وقالوا هذا سعي لهم، فإنهم كانوا يعجزون عن نصرة مذهبهم بمثل هذه الشبهات لولا تحقيقك لها، وترتيبك إياها وهذا الإنكار من وجه حق". انظر: "المنقذ من الضلال" ص ٥٧ للغزالي - المكتبة الشعبية - بيروت - لبنان -بدون تاريخ. كما تعرض الرازي لانتقادات شديدة من العلماء لمبالغته في تقرير آراء الخصوم، وإفراطه في شرحها وتفصيلها حتى اعتُبر ذلك منه إسهاماً في نشر البدع والعقائد الزائفة .

[١٠] انظر : د.عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية " ص٦٠ . ويجب أن ننتبه إلى أن الفصل بين الأساس الديني من جهة والأساس الخلقي أو العقلي من جهة ثانية قائم على أصل زائف لأن الأساس الديني نفسه يطرح نفسه على أنه أساس ديني وعقلي في نفس الوقت. وسنفصل في ذلك لاحقاً .

[١١] انظر : علي حرب " نقد الحقيقة " ص ٥٧ .

[١٢] انظر : د. عادل ضاهر " السابق " ص ٤٧ .

[١٣] انظر : السابق ص ٤٨ .

[١٤] انظر : د. عادل ضاهر " الأسس الفلسفية للعلمانية "ص ٤٩ . ويتبنى ذلك أيضاً د. عبد المجيد الشرفي " لبنات " ص ١٥٥ وله أيضاً : " الإسلام والحداثة " ص ١٨ و د. عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر " ص ١٧٠ .

[١٥] انظر : علي حرب "نقد النص" ص ٢١٠ وله : الممنوع والممتنع ص ٥٤ . وانظر جورج طرابيشي "مقال مشارك في حوار المشرق والمغرب" ص ١٣٨ .

[١٦] انظر : عادل ضاهر " السابق " ص ٣٩٠ – ٣٩٢ .

[١٧] انظر : عادل ضاهر " السابق " ص ٣٩ وانظر أيضاً د. عزيز العظمة " العلمانية تحت المجهر " ص ١٧٠ .

[١٨] انظر : علي حرب " الممنوع والممتنع " ص ٢٦ .

[١٩] انظر : ل . دونوروا وألبيير باية " من العلمنة إلى الفكر الحر " ص ٢٧ . ترجمة عاطف علي - دار الطليعة - بيروت - ط ١ / ١٩٨٦ .

[٢٠] انظر : آلان تورين " نقد الحداثة " ص ٧ ترجمة أنور مغيث - المجلس الأعلى للثقافة ١٩٩٧ د . ط .

[٢١] عادل ضاهر " السابق " ص ٣٠ ، ٣٢٧ .

[٢٢] السابق ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

[٢٣] السابق ص ٣٦١ .

[٢٤] انظر : عادل ضاهر " السابق "ص ٣٦٢ .

[٢٥] انظر : " السابق " ص ٥ .

[٢٦] انظر : " السابق " ٥٣ .

[٢٧] انظر : " السابق " ١٦٨ .

[٢٨] السابق ص ٢٩١ .

[٢٩] انظر : " السابق " ص ٤٢٤ ، ٤٢٥ .

[٣٠] انظر : طيب تيزيني "النص القرآني وإشكالية البنية القراءة" ص ١٣ ، ١١٠ ، ٢٣١ ، ٤٢٠ . وانظر : نصر حامد أبو زيد "مفهوم النص" ص ١٢ ، ١٧ وله أيضاً : "النص، السلطه، الحقيقة" ص ١٩ ، ٢١٠ وانظر : سيد القمني "الفاشيون والوطن"ص ٩ وانظر : محمد عابد الجابري "بنية العقل العربي" ص ٦٦ وانظر : علي حرب "نقد النص" ص ٧٦ ، ١٠٩ ، ١٢٨ وانظر : مراد وهبة "ملاك الحقيقة المطلقة" ص ٣٦ ومحمد أركون "القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني" ص ١٢ ، ١٦ ، ١١٣ وله أيضاً : "نافذة على الإسلام ص ٧ ، ١١٩ ، ١٨٦ ، ٢٣٦ وله أيضاً : "تاريخية الفكر الإسلامي" ص ١٣ ، ٤١ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٩٦ ، ١٠٣ ، ١٠٨ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٥٠ ، ١٥٣ .

[٣١] انظر : زكي مبارك " الأخلاق عند الغزالي " .

[٣٢] انظر : محمد عابد الجابري "بنية العقل العربي" ص ٤٨٨ ، ٤٨٩ وله أيضاً : "التراث والحداثة" ص ١٧٣ ، ١٧٤ المركز الثقافي العربي - بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩١م وانظر : محمد أركون " نافذة على الإسلام" ص ١١٩ - ترجمة صياح الجهيم - دار عطية للنشر، بيروت - الطبعة الأولى ١٩٩٦م وله أيضاً : "تاريخية الفكر الإسلامي" ص ١٣٤ وانظر : نصر حامد أبو زيد "النص ، السلطة ، الحقيقة " ص ١٩ ، ٢١٠ وانظر : علي حرب" نقد النص" ص ٩٦ وانظر : طيب تيزيني "النص القرآني وإشكالية البنية والقراءة" ص ٢٠٥وانظر : رفعت السعيد "العلمانية بين الإسلام والعقل والتأسلم"ص ٣٣ وانظر : محمد سعيد العشماوي "العقل في الإسلام" ص٦٢ ، ٧٣ ، ٨٠ .

[٣٣] انظر : د . نصر حامد أبو زيد " مفهوم النص " ص ٢٨ .

[٣٤] محمد عابد الجابري " الخطاب العربي المعاصر" ص ٣٩ - مركز دراسات الوحدة العربية - ط ٤ / ١٩٩٢ .

[٣٥] الإمام الغزالي " المستصفى " ص ٥ - ٦ .

[٣٦] الإمام الغزالي " المستصفى " ١ / ٣ . بيروت - دار إحياء التراث العربي ط ٣ / ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .

[٣٧] انظر : السابق ص ٦ .

[٣٨] ابن تيمية " درء تعارض العقل والنقل " ١ / ١٤٧ . تحقيق د . محمد رشاد سالم - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - ط١ / ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م .

[٣٩] الغزالي : " الاقتصاد في الاعتقاد " ص ٣ ، ٤ .

[٤٠] ابن رشد : " فصل المقال ... " ص ٦٧ - تحقيق د . محمد عمارة - دار المعارف - القاهرة ط٢ / ١٩٨٣ .

[٤١] انظر : أبو يعرب المرزوقي " وحدة الفكرين الديني والفلسفي " ص ١٦٨ - دار الفكر - دمشق - الطبعة الأولى محرم ١٤٢٢ هـ أبريل ٢٠٠١ م .

[٤٢] ولكن الذي حصل في العالم المعاصر أن العلمانية مزقت العالم المقدس الذي كان إلهياً وطبيعياً في آن واحد وكان مخلوقاً وشفافاً أمام العقل، ولم تحل محله عالم العقل لأنها ردت الغايات الأخروية إلى عالم لا يستطيع الإنسان أن يبلغه. انظر : آلان تورين " نقد الحداثة " ص ٢٢ ، ٢٣ .

قال وهب بن منبه:

طوبى لمن شغله عيبُه عن
عَيب أخيه، طوبى لمن تواضع لله
مِن غير مَسكنة، طوبى لمن تصدَّق من مالٍ
جمعَهُ من غير معصية، طوبى لأهل الضُّر وأهل
المسكنة، طوبى لمن جالسَ أهلَ العِلم والحِلم،
طوبى لِمن اقتدى بأهل العلم والحِلم
والخشية، طوبى لمن وسِعتْهُ
السُّنَّة فلم يعْدُها .

التسليم للّه

فصل من كتاب:

الإسلام بين الشرق والغرب

رئيس البوسنة والهرسك علي عزت بيجوفيتش

للطبيعة حتمية تحكُمها، وللإنسان قَدَرُه. والتسليم بهذا القدر هو الفكرة النهائية العليا للإسلام. فهل القدر موجود.. وأي شكل يتخذ؟ دعنا ننظر في حياتنا لنرى ماذا تبقَّى من خُططنا العزيزة على أنفسنا وما بقي من أحلام شبابنا؟ ألم نأت إلى هذا العالم بلا حول لنا ولا قوة في ذلك، ثم واجهنا تركيبتنا الشخصية، ومُنحنا قدراً من الذكاء قلّ أو كثر، وملامح جذّابة أو مُنفّرة، وتركيبة بدنية رياضية أو قزمية، ونشأنا في قصر ملك أو كوخ شحاذ، في أوقات عصيبة أو زمن سلام، تحت سلطان طاغية جبّار أو أمير نبيل، وفي ظروف جغرافية وتاريخية لم يتم استشارتنا بشأنها؟ كم هي محدودة تلك التي نسميها إرادتنا.. وكم هو هائل وغير محدود قَدَرُنا؟

لقد وُضع الإنسان في هذا العالم وقُدّر له أن يعتمد في وجوده على كثير من الحقائق التي لا يملك عليها سلطاناً. وتتأثر حياته بعوامل قريبة منه وعوامل أخرى نائية عنه أكثر مما يتخيل. في أثناء اقتحام الحلفاء لأوروبا سنة ١٩٤٤ (خلال الحرب العالمية الثانية) حدث للحظات قليلة اضطراب شمَل جميع الاتصالات اللاسلكية، وكان من الممكن أن يسبّب هذا كارثة تقضي على العمليات العسكرية التي كانت قد بدأت تشق طريقها. ولم يعرف أحد سبب هذا الاضطراب إلا بعد عدة سنوات، حيث عُزي هذا الاضطراب إلى انفجار حدث في مجموعة نجمية يُطلق عليها مجموعة "أندروميدا"

Andromeda، علماً بأن هذه المجموعة تبعد عن كوكبنا عدة ملايين من السنوات الضوئية.

ويوجد على الأرض نوع من الزلازل الفاجعة يرجع إلى تغيّرات معينة تحدث على سطح الشمس.

وكلما نمت معرفتنا عن العالم تزايد إدراكنا بأننا لا يمكن أن نكون أسياد مصائرنا.

حتى مع افتراض أعظم تقدّم للعلم، فإن مقدار ما سيكون تحت سيطرتنا من عوامل لا يساوي شيئاً إذا قورن بالكم الهائل من العوامل الخارجة عن هذه السيطرة.

إن حجم الإنسان لا يتناسب مع حجم هذا الكون الفسيح، وعمر الإنسانية كلها ليس وحدة قياس لما يجري في هذا الكون من أحداث. وهذا هو سبب ما يعتري الإنسان من شعور دائم بالخطر، وما ينعكس على نفسيته من حالات التشاؤم والتمرد واليأس واللامبالاة، أو التسليم لله.

إن الإسلام يجتهد في تنظيم هذا العالم عن طريق التنشئة والتعليم والقوانين التي شرعها، وهذا هو مجاله المحدود أما مجاله الرحيب فهو التسليم لله.

إن العدالة الفردية لا يمكن أن تكون كافية في إطار هذا الوجود المحدود. إننا قد نتبع جميع القواعد والتعاليم الإسلامية التي من شأنها أن تمنحنا السعادة في الدارين (الدنيا والآخرة)، وقد نضيف إلى ذلك

اتخاذ جميع الإجراءات الطبية والاجتماعية والأخلاقية، بسبب التشابك الرهيب للأقدار والرغبات والحوادث، فإننا سنظل نُصاب في أجسامنا وفي نفوسنا بكثير من المعاناة. فما الذي يمكن أن يُعزّي أُماً فقدت ابنها الوحيد؟ وأي سلوى ممكنة لرجل أصيب في حادثة فأصبح قعيداً معوَّقا؟

لا بد أن نكون على وعي بظروفنا الإنسانية، فنحن منغمسون في أوضاع معينة. وقد أستطيع أن أعمل على تغيير هذا الوضع، ولكن تبقى هناك أوضاع لا تقبل بطبيعتها التغيير. قد تتخذ هذه الأوضاع أشكالاً مختلفة وقد تنحجب عنا قوتها الغالبة، ولكن تبقى أمامنا هذه الحقائق: إنني لا مفر من أن أموت، ولا بد أن أعاني، وأن أناضل، إنني أتعثر دون رغبة مني في مشاعر الذنب. هذه الظروف الأساسية في حياة الإنسان يُطلق عليها **"الأوضاع الحدّية"**. من المؤكد أن واجب الإنسان هو أن يبذل جهده لتحسين كل شيء في هذا العالم بمقدوره أن يُحسّنه.

ومع ذلك، فسيظل أطفال يموتون بطريقة مأساوية حتى في أكثر المجتمعات كمالاً. والإنسان على أحسن الفروض قد يستطيع أن يقلل من كمّ المعاناة في هذا العالم.

ومع ذلك سيبقى الظلم والألم مستمرين، ومهما كانا محدودين، فلن يتوقفا عن أن يكونا سببا للتجديف والانحراف.

التسليم للّه أو التمرّد
إجابتان مختلفتان للسؤال نفسه

في التسليم لله يوجد شيء من كل حكمة إنسانية فيما عدا واحدة: تلك هي التفاؤل السطحي، فإن التسليم هو قصة المصير الإنساني ولذا فإن التشاؤم نافذ إليه، لأن كل مصير هو مصير تراجيدي مأساوي إذا نحن قمنا بتحليله إلى أعمق أعماقه.

الاعتراف بالقَدَرِ، استجابة مثيرة للقضية الإنسانية الكبيرة التي تنطوي في جوهرها على المعاناة التي لا مردّ لها.

إنه اعتراف بالحياة على ما هي عليه، وقرار واع بالتحمّل والصمود والتجمّل بالصبر. وفي هذه النقطة يختلف الإسلام اختلافاً حادًّا عن المثالية المصطنعة وعن الفلسفة الأوروبية التفاؤلية وحكايتها الساذجة عن **"الأفضل من كل ما هو ممكن في العالمين"**. ذلك لأن التسليم لله هو ضوء يانع يخترق التشاؤم ويتجاوزه.

كنتيجة لاعتراف الإنسان بعجزه وشعوره بالخطر وعدم الأمن يجد أن التسليم لله في حد ذاته قوة جديدة وطمأنينة جديدة. إن الإيمان بالله والإيمان بعنايته يمنحنا الشعور بالأمن الذي لا يمكن تعويضه بأي شيء آخر. ولا يعني التسليم لله سلبية في موقف الإنسان كما يظن كثير من الناس خاطئين.

في الحقيقة **"كل السلالات البطولية كانوا من المؤمنين بالقدر"** إن طاعة الله تستبعد طاعة البشر والخضوع لهم. إنها صلة جديدة بين الإنسان وبين الله، ومن ثم بين الإنسان والإنسان.

إنها أيضاً حرية يكتسبها الإنسان بمواصلته الإيمان بقدره. ومواصلة الكدح والجهاد سمتان إنسانيتان معقولتان، وفيهما يتحقق الاعتدال والصفاء إذا نحن آمنا بأن النتيجة النهائية ليست بأيدينا، إنما علينا أن نسعى ونعمل، أما الباقي فبين يدي الله.

فلكي ندرك حقيقة وضعنا في هذا العالم يعني أن نستسلم لله، وأن نتنفس السلام، وألا يحملنا الوهم على أن نبدد جهودنا في الاحاطة بكل شيء والتغلب عليه. علينا أن نتقبل المكان والزمان اللذين أحاطا

بميلادنا، فالميلاد والزمان قدَرُ الله وإرادته.

إن التسليم لله هو الطريقة الإنسانية الوحيدة للخروج من ظروف الحياة المأساوية التي لا حل لها ولا معنى.. إنه طريق للخروج بدون تمرد ولا قنوط ولا عدمية ولا انتحار. إنه شعور بطولي (لا شعور بطل)، بل شعور إنسان عادي قام بأداء وتقبّل قَدَره.

إن الإسلام لم يأخذ اسمه من قوانينه ولا نظامه ولا محرماته ولا من جهود النفس والبدن التي يطالب الإنسان بها، وإنما من شيء يشمل هذا كله ويسمو عليه: من لحظة فارقة تنقدح فيها شرارة وعي باطني.. من قوة النفس في مواجهة محن الزمان.. من التهيؤ لاحتمال كل ما يأتي به الوجود.. من حقيقة التسليم لله.

إنه استسلام لله.. والاسم إسلام!

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية

واعلم أن علم الإنسان بأن كل محدَث لا بد له من محدِث، أو كل أثر فلا بد له من مؤثر، ونحو ذلك من القضايا الكلية والأخبار العامة، هو علم كلي بقضية كلية، وهو حق في نفسه، لكن علمه بأن هذا المحدَث المعيّن لا بد له من محدِث، وهذا الممكن المعيّن لا بد له من واجب، هو أيضا معلوم له مع كون القضية معينة مخصوصة جزئية، وليس علمه بهذه القضايا المعينة المخصوصة موقوفا على العلم بتلك القضية العامة الكلية، بل هذه القضايا المعينة قد تسبق إلى فطرته قبل أن يستشعر تلك القضايا الكلية، وهذا كعلمه بأن الكتابة لا بد لها من كاتب، والبناء لا بد له من بان، فإنه إذا رأى كتابة معينة علم أنه لا بد لها من كاتب، وإذا رأى بنيانا علم أنه لا بد له من بان، وإن لم يستشعر في ذلك الحال كل كتابة كانت أو تكون أو يمكن أن تكون

المرأة الملحدة.. قصة مأساة!! الفصل الثالث

بقلم: م/ أميرة الجلباب

مثل فحيح أفعى تريد أن تزاحم بصوتها الشاذ التغريدَ العذب الصافي في عالم الطيور، يردد بعضهم "بِوَرع" كاذب: الإلحاد لا يعني الانحلال الخُلُقي!، والأفعى لا ينقصها شيء حتى تستطيع أن تُنشد أعذب الألحان، أو تطيرَ في الهواء النقي مثل الحمام!

وهذا قول في الحقيقة لا ينطلي إلا على غِرٍّ أحمق، لا يدعمه منطق الإلحاد ولا واقعُه، فإن واقع المجتمعات التي يهيمن عليها الفكر المادي اللاديني الإلحادي يفضح كذب هذا القول ويدحضه، ثم يُجمع على صحة قول القائل: **"لو كان الإلحاد امرأةً لحُق لها أن تكون بغيا"**!..

كيف لا؟!.. وتلك المبادئ التي قام عليها بنيان الإلحاد المتهافت تدعو بذاتها الملاحدة عموما والمرأة الملحدة خصوصا إلى التفلت والانحلال الخُلقي ولا بد!، حتى أضحى من توابع هذا الفكر ولوازمه التي لا تنفك عنه -بغض النظر عن توجهات آحاد أفراده وميولهم الذاتية- تلك الإباحية، وذاك التفسخ بكل درجاته، الذي تنوء به هذه المجتمعات.

إن الوضع المأساوي للمرأة في الإلحاد يكمن في أصول الفكر نفسه، ومبادئه التي تتمثل في عدم وجود مرجعية عليا ثابتة للأخلاق والقيم، تتمتع بصفات الشمولية والكمال، مرجعية واضحة المعالم، بارزة الحدود، حدودها مُلزِمة، لا يجوز الاقتراب منها، فضلا عن تعديها أو تجاوزها، مرجعية عامة وأبدية، لا يعتريها نقص أو خلل كما يعتري الإنسان وقوانينه الوضعية، تكفل للبشرية مطامحها المشروعة، وتعترض على شهواتها الجامحة، وهذا ما تفتقده تماما المرأة الملحدة في حياتها!

تفتقد مرجعية تتبنى منهجا أخلاقيا متكاملا وملزما، ذلك لأن **أي مذهب أخلاقي جديرٍ بهذا الاسم يستند -في نهاية الأمر- على فكرة الإلزام L'obligation ، فهو القاعدة الأساسية، والمدار والعنصر النووي الذي يدور حوله كل نظام أخلاقي، والذي يؤدي فقده إلى سحق جوهر الحكمة العملية ذاتها؛ وفناء ماهيتها؛ ذلك أنه إذا لم يعد هناك إلزام، فلن تكون هناك مسؤولية، وإذا عدمت المسؤولية؛ تفشى الفوضى، ويفسد النظام، وتعم الهمجية.. ولا يمكن أن تتصور قاعدة أخلاقية بدون إلزام**[ج].

إن المحاذير والمحظورات تستلزم وجودَ حدودٍ صارمة، وتلك الحدودُ لا تتمثل للمرء عيانا إلا في وجود مرجعية عليا مقدسة ملزمة، يتبناها الضمير والعقل الإنساني، يحملها ويعيش بها في كل الظروف والأحوال التي يمر بها، مرجعية راسخة الأركان، لا تتغير حدودُها بتغير اتجاهات رياح الهوى، وارتفاع أمواج الشهوات، هذه الأهواء والشهوات التي إذا أُطلقت عَصَفت بصاحبها، إذ صارت بلا لجام يقودها ولا زمام، وإن واقعَ بني إلحاد أثبت لنا لزاما وتكرارا أن شهواتهم فقط هي "الطوطم" المقدس الذي يصيحون حوله ويتراقصون ويطبلون، يسبحون بحمده ليل نهار ويطوفون!

و لسنا بحاجة لحشد الدلائل والإحصائيات التي تثبت ذلك، مثل معدلات حالات الزواج غير الشرعي، والاغتصاب، والتحرش، والمواليد غير الشرعيين، والشذوذ، وحالات مرضى الإيدز، وغيرها من البلايا والمصائب التي ينضح بها واقع مجتمعاتهم اللادينية ويفوح منها عفنها!

إن الأخلاق لها أسس ومعايير حقيقية، وفق مفاهيم مقتبسة من تلك المرجعية الكاملة، وهي ليست اعتباريةً أو نسبية، أو من الأمور التي تتواضع عليها الأمم، وإن **معظم الجماهير التي لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر لا تستطيع أن تكتسب ضميراً أخلاقياً مُقوماً لسلوكها من منبع آخر، لأنها تسيطر عليها حينئذ أنانياتها وشهواتها، ولا يردعها عن الجنوح خوف، ولا يجذبها إلى الاستقامة طمع، وحينما تخشى من العقاب المادي الإنساني فإنها تستقيم استقامة الحذر من العدو، وترصد الانحراف كراصد الصيد، متى وجد الفرصة متاحةً له انقضَّ على فريسته. قد يقولون: إن النظرات الفلسفية، والعاطفة الإنسانية، والتربية الأخلاقية، وحبَّ الخير وفِعلَ الخير، كفيلةٌ بتربية الضمير الأخلاقي، ولكننا نقول لهم: لئن صلحت هذه الوسائل لتربية ضمير أخلاقي لدى فيلسوفٍ عالي الفطرة، له نظرات تأملية بعيدة عن**

غمرة الماديات، والمطامع والأهواء والشهوات، فإنها لن تصلح لتربية ضمير أخلاقي لدى أُلوف مؤلَّفة من البشر، لا يتحلَّون بخصائص ذلك الفيلسوف النادر.

ومعلوم أن الضوابط السلوكية لمنح البشرية أفضل مقدار من سعادة الحياة يجب أن تكون قادرة على ضبط الكثرة الكاثرة من الناس إلا من شذ، لا أن تكون للنماذج النادرة فقط، وتترك الأعداد العظمى من غير ضابط [ت].

لذا كان لا بد من مرجعية مطلقة تكون فوق اختلافات الأفراد، والطوائف والطبقات والشعوب، بحيث لا تحابي أحداً على أحد، وهذه المرجعية هي الله ﷻ، ومَن الذي يمكن أن يتوفر له العلم المحيط بالأوضاع البشرية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، ولا يحابي في ذات الوقت أحداً على أحد إلا الله سبحانه؟ [ث]، هذه المرجعية التي تتميز بتلك السلطة الآمرة تجاه الجميع، والتي تنشأ عنها "ضرورة" يستشعرها كل فرد، أن ينفذ نفس الأمر، أياً كانت الحال الراهنة لشعوره، وهي ضرورة تجعل من العصيان أمراً مَقيتا ومستهجنا [ج].

إن القانون الأخلاقي المطبوع في الإنسان ناقص وغيرُ كافٍ.. وإن الضمير إذا اقتصر على مصادره الفطرية وحدها، وجد نفسه عاجزا في غالب الأحيان عن أن يُقدم في جميع الظروف "قاعدة" ذات طابع عام، تستأثر باعتراف الجميع.. ومن هنا كانت الحاجة إلى الوحي الإلهي وتعاليمه، التي تعمل على حصر الاختلافات بين الناس في أضيق الحدود، خاصة فيما يتعلق بالحكم الأخلاقي.. وهذه التعاليم تخاطب الضمائر من ناحية لتحصل على موافقتها، ومن ناحية أخرى تُبرز "المثل الأعلى" لتدعم به شرعيتها، وهاتان الميزتان شرطٌ مزدوج وضروري لتأسيس مفهوم "القانون الأخلاقي" [ح].

وإن المرأة الملحدة تفتقد هذا القانون، وهذا المعيار الثابت الذي يقرر ما هو الشيء الأخلاقي وغير الأخلاقي في حياتها، ما هو الحق وما هو الباطل، ما هو الصحيح وما هو الخطأ، ما هي حدود الفعل الأخلاقي والفعل غير الأخلاقي؟ فإن داهمها سؤال حول هذا، فإنها تلجأ في لحظتها إلى مصدر التشريع والتقويم الوحيد، الذي لا تملك غيره، فقراراتها ليست مبنيةً عند التأمل إلا على رغباتها النفسية المحضة، ونزواتها وأهوائها اليومية العارضة!.. ولن تعدم عذرا تتذرع به، أو مبرِراً تتبرأ به لتفعل ما يحلو لها!

الحدود المرسومة في ذهن المرأة الملحدة حدود وهمية إذا جاءت أكلتها!

وبهذه السرعة و"المرونة!"، لا تجد المرأة الملحدة مانعا يمنعها من استباحة ما كان ممنوعا -أي ما كانت تمنع نفسها منه إن وُجد!- بدعوى تغير الظروف مثلا، أو الحاجة زعمًا، أو حتى بسبب المَلل ومجرد الرغبة في التغيير والتجديد والتنويع، وهذه كلها مبررات سائغة عندها بقليل جدا من التصرف والتفكير!.. وهل تحتاج امرأة ملحدة إلى مثقال ذرة من جهد حتى تقنع نفسها بأن استحلالها هذا ليس فيه خيانة مبدإ وضعته لنفسها؟!..

وإلا فأين هي هذه المبادئ والقوانين؟! وقد علمنا أنها ليست إلا وَهْم داخل ذهنها فقط، ولا يوجد منها خارج الذهن شيء ألبتة!

أين هي هذه المبادئ والقوانين التي ما هي إلا "آلهة العجوة" التي إذا جاعت أكلتها!، وما هي إلا رسوم خيالية رسمتها في ذهنها، وحدود هلامية قابلة للتشكيل والتحوير بكل سهولة في أية لحظة، ومع كل ظرف جديد يطرأ لم يكن من ذي قبل!

قال تعالى:

فهواها هو الإله المعبود الذي لا معبود لها سواه.. واتباعُ الهوى يعمي عن الحق جملة وتفصيلا.

وبالمقابل من هذه الصورة المَقيتة.. نجد هناك عند المرأة المسلمة حدوداً بيّنة، قيل فيها:

وقوانين تقول: "افعل ولا تفعل"، "ابتعد ولا تقترب"، وقِيم ومُثل عليا، ومعايير أخلاقية حقيقية وليست نسبية.

وقد جاء في الحديث:

﴿ إن الله حد حدودا فلا تعتدوها وفرض لكم فرائض فلا تضيعوها وحرم أشياء فلا تنتهكوها وترك أشياء من غير نسيان من ربكم ولكن رحمة منه لكم فاقبلوها ولا تبحثوا فيها ﴾[٤].

ومن هذا المنطلق، وفي ضوء هذه المنظومة من القواعد والقوانين، نجد أنه شتان بين موقف المرأة المسلمة إذا أخطأت، وموقف المرأة الملحدة، فإن المرأة المسلمة تتوفر لها إمكانية العلم بماهية الحد الذي انتهكته، والمقدار الذي تجاوزته، والخُلق القويم الذي خالفته، ثم إن الشرع يفتح لها طريق العودة والتكفير، وسبيل الإنابة والتطهير، ويُمكّنها من التخلص من ضغط تأنيب الضمير الحي، وهَمِّ الإحساس بالذنب، فهي توقن في قرارة نفسها حينئذ بأنها مخلوق نبيل قد زلَّ، ولا يزال الدين ينير دربها ويأخذ بيدها، والقرآن يوقظ فيها هذا الشعور بكرامتها الأصلية ويؤصله.

أما المرأة الملحدة فما هي الحدود، وإلى أية قيمة تعود إذا أرادت أن تتطهر مثلا؟.. وبأي دليل تسترشد إذا أرادت أن تسلك للخروج من المأساة سبيلا؟! سؤال يطرح نفسه؟!

لا مكان للأخلاق بدون عقيدة، والعقيدة هنا تتصل بالأخلاق ذاتها، ومعناها الإيمان بالحقيقة الأخلاقية كحقيقة قائمة بذاتها "تسمو" على الفرد، و"تفرض"

نفسها عليه، بغض النظر عن أهوائه ومصالحه ورغباته، غير أن موضوع هذه العقيدة يمكن تصوره بطريقتين مختلفتين: فعلى حين أن الملحد العقلاني يقف نظره عند فكرةٍ جامدة، أو عند مفهوم مجرد، أو عند كيان أخرس لا حياة فيه، نجد أن المؤمن يترجم في ثنايا قلبه الرسالة السماوية لخالقه، ونجده خلف الفكرة يلمح حقيقية حية ومؤثرة، ويشعر أنه مرتبط بها ارتباطاً عضوياً، ويستمد منها على الدوام القوة والنور، ويشعر نحوها بأعمق مشاعر الاحترام ممزوجة بأرق مشاعر الحب، هذه الشعلة العاطفية التي تحرك "إيمانه العقلي"، تغذي في الوقت نفسه "طاقاته الخلاقة"، وهو حين يتوقف أو يسقط لا ييأس من أنه سيعاود الوقوف على قدميه ومتابعة المسيرة، معتمداً على تلك القوة الهائلة التي يستمد منها العون، وبذلك يمكن القول إن الأخلاق لا تجد مكانا أكثر خصوبة، تزدهر فيه من ضمير المؤمن ﴾[ē].

ما هي الحدود التي تُلزم المرأة الملحدة، وإلى أية قيمة تعود إذا أرادت أن تتطهر مثلا؟.. وبأي دليل تسترشد إذا أرادت أن تسلك للخروج من المأساة سبيلا ؟!

إن الفكر المادي الإلحادي لا يعطي للقيم والمثل العليا أية قيمة؛ ما لم تكن ذاتَ منفعةٍ مادية، وتلك النظرة "البراجماتية" أدت إلى ضياع المقاييس والمعايير ضياعا مبينا!.. إذ أن "البراجماتيّ" لا يفكر في المبدأ ليعرف إن كان حقاً أم باطلاً، وإنما يفكر فيه ليعرف إن كان سيستفيد منه أم لا!.. فإن كان ثمّ استفادة منه فهو صحيح عنده، وإن لم يستفد منه فلا قيمة للتفكير فيه أصلاً!

﴿لقد نسفت هذه "البراجماتزم" فكرة المثل الأعلى، أو فكرة العقيدة أو فكرة الآيديولوجية، عندما لم تعتبرها في التعامل مع الواقع، أي دون أن تكون هناك معايير توجه العقل في حكمه على الواقع وأخذه له، فالشذوذ الجنسي مثلاً لا يُبحث فيه معيار كونه حراماً أو حيوانية، أو انحرافاً خلقياً أو مسخاً للفطرة الإنسانية، وإنما يُبحث فيه النتائج التي تعود على الإنسان من قبوله والتعامل معه، فإن كانت هذه النتائج إيجابية وتحقق فائدة يؤخذ ولو عارض جميع الأعراف.

إن فقدان "البراجماتزم" لفكرة المثل الأعلى أو لما يسمى الآيديولوجية المسبقة، أدى إلى ضياع المقاييس والمعايير، فعندما يصبح المعيار هو الفائدة، في الوقت الذي لا يوجد فيه معيار للفائدة أصلاً، فإن الإنسان ينحدر في التفكير حتى يصل به الحال إلى عدم القدرة على التمييز بين الحق والباطل، والصدق والكذب، والأخلاق الفاضلة والأخلاق الفاسدة﴾[Ē].

وإن ضياع المقاييس والمعايير، وانعدام القيم والمثل العليا، أدى بدوره إلى ضياعٍ أكبر، تعدى مستوى المرأة الواحدة، ليشمل المجتمع كله، وليُشكِّل فصلا قاسيا مظلما من فصول قصة مأساة المرأة في المجتمع اللاديني، ألا وهو دعوة "تحرير" المرأة، وما جرته من ويلات ومآسٍ يندى لها الجبين، من انحلال خلقي، واضطراب في الموازين، وانتشار الأمراض الفتاكة، وارتفاع نسبة الأطفال غير الشرعيين، وتفسخ الأسرة والمجتمع وغيرها.

وصدق الله تعالى إذ يقول:

عندما يصبح المعيار عند البراجماتي هو الفائدة بدون وجود أي معيار للفائدة ، فإن البراجماتي ينحدر في التفكير حتى يصل إلى عدم القدرة للتمييز بين الحق والباطل.

يقول "**لورانس جولد Lourence Could**" في تعليق له على ما يجري من فساد في الأخلاق في أمريكا: ﴿ **أنا لا أعتقد أن الخطر الأكبر الذي يهدد مستقبلنا يتمثل في القنابل النووية، أو الصواريخ الموجهة آلياً، ولا أعتقد أن نهاية حضارتنا ستكون بهذه الطريقة، إن الحضارة الأمريكية، ستزول وتنهار عندما نصبح عديمي الاهتمام، وغير مبالين بما يجري في مجتمعنا، وعندما تموت العزيمة على إبقاء الشرف والأخلاق في قلوب المواطنين** ﴾[ě].

والواقع أن حياة المرأة الملحدة أو اللادينية قد انحدرت هذا المنحدر الكبير، وتشكلت بشكل سلبي خطير، متأثرة بثلاث نظريات ولدت في القرن التاسع عشر، هيمنت على واقعها وسلوكها، ألا وهي: ﴿ **"النظرية الماركسية"، و"نظرية دارون" في التطور، و"نظرية فرويد" في التحليل النفسي، ولعل نظرية التطور لدارون هي أخطر هذه النظريات، لأنها حاولت البرهنة على "حيوانية الإنسان"، وكانت خلف ظاهرة الإباحية الأخلاقية أو ما سميت بـ"الثورة الجنسية" التي اجتاحت العالم الغربي والعديد من بلدان العالم، لأن الإنسان ما دام سليل حيوانات فما عليه إلا اتباع غرائزه وعدم كَبتها، وعندما يتم إثبات هذه الصفة الحيوانية في الإنسان ويدمغ بها؛ فمن السهل قبول "النظرية الماركسية" التي ترى أن الهم الوحيد للإنسان هو حاجاته المادية وما يشبع بطنه، وكذلك يسهل قبول**

"نظرية فرويد"، التي أرجعت جميع نشاطات الإنسان وغاياته إلى غريزته الجنسية»[ČČ].

فلقد « استمد "ماركس" من نظرية "داروين" مادية الإنسان وجعل مطلبه في الحياة ينحصر في الحصول على (الغذاء والسكن والجنس)، مهملاً بذلك جميع العوامل الروحية لديه، بينما استمد "فروید" من نظرية "داروين" حيوانية الإنسان، فالإنسان عنده حيوان جنسي، لا يملك إلا الانصياع لأوامر الغريزة وإلا وقع فريسة الكبت المدمر للأعصاب »[ČČ] حسب زعمه!!..

حيث « يزعم "فروید" أن كل سلوك الإنسان يرجع إلى دافع وحيد في كيانه منذ ميلاده حتى موته، ألا وهو الدافع الجنسي، فهو الدافع الوحيد في حياة الإنسان، وتتشكل ظواهره بأشكال كثيرة في سلوكه»[ČĎ].

وبينما يرى "فروید" «الدعوة إلى الإباحية الجنسية، تعللاً بما زعمه كبتًا جنسيًا، وبما يولده هذا الكبت من أمراض عصبية»[Čď]، فإن "الماركسية الشيوعية" تعادي الملكية الخاصة، وتدعو إلى إشاعة النساء -كل النساء لكل الرجال- حسب "المانيفيست" الشيوعي الذي جاء فيه: إن « قصارى ما يمكن أن يُلام عليه الشيوعيون، هو أنهم يريدون إحلال إشاعة رسمية وصريحة للنساء محل إشاعة مستترة نفاقا »![Čđ].

وهكذا .. دُمغت حياة المرأة الملحدة بالحيوانية حسب "نظرية داروين".. وطُبعت بالمادية البحتة مع عدم الاعتراف بالروح، وأهينت كرامتها بالدعوة إلى إشاعة النساء، حسب "نظرية ماركس".. ثم فُسرت سلوكياتها البريئة وجميع تصرفاتها بدافع جنسي لا غير، بحسب "نظرية فروید"، وهيمنت البهيمية والتحلل على سلوكها بدعوى "تحرير المرأة"، فلا قيم ولا أخلاق، ولا شيء يعلو المنفعة المادية!

فما أتعس هذه الحياة.. وما أبشعها!

---

* م/ أميرة الجلباب

هندسة اتصالات وإلكترونيات، وباحثة في قضايا المرأة

الهامش:

[١] "دستور الأخلاق في القرآن"، رسالة دكتوراة، د.محمد عبد الله درّاز، ص٢١، بتصرف.

[٢] "صراع مع الملاحدة حتى العظم"، د.عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني:
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=٥٢١٠

[٣] "المرأة والدين والأخلاق بين نوال السعداوى وهبة رؤوف"، مقال د. إبراهيم عوض، بتصرف:
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=٣٦١٨

[٤] "دستور الأخلاق في القرآن"، رسالة دكتوراة، د. محمد عبد الله درّاز، ص٢٢، بتصرف.

[٥] من مقدمة "دستور الأخلاق في القرآن"، أ. د.السيد محمد بدوي، " ص (ي ب- ي ج)، بتصرف.

[٦] رواه الحاكم في المستدرك (١٢٩/٤)، والطبراني في الكبير (٢٢٣/٢٢)، والبيهقي (١٢/١٠)، والدارقطني (١٨٣/٤) عن أبي ثعلبة الخشني.

[٧] من مقدمة "دستور الأخلاق في القرآن"، أ. د.السيد محمد بدوي، " صـ (ي د)، بتصرف.

[٨] "البراجماتزم.. تحليل وتعليق"، مقال بقلم: أبو الحارث التميمي:
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=٤٠٤٤

[٩] "السقوط من الداخل"، د.محمد بن سعود البشر، ص٨٧، نقلا عن "التربية الخلقية بين الإسلام والعولمة"، أ. د.سليمان بن قاسم العيد، كلية التربية- جامعة الملك سعود.

[١٠] "تهافت نظرية التطور"، مقال بقلم: أورخان محمد علي، بتصرف:
http://www.hiramagazine.com/archives_show.php?ID=٨١&ISSUE=٤

[١١] "الداروينية"، "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة":
http://saaid.net/feraq/mthahb/١١٧.htm.

[١٢] "كواشف زُيُوف"، د.عبد الرحمن حسن حبنّكة الميداني:
http://www.eltwhed.com/vb/showthread.php?t=٤٥٨١

[١٣] المصدر السابق.

[١٤] "بيان الحزب الشيوعي"، كارل ماركس، وفريدريك أنجلس.

ليبرا لا لـِـيَّه

الشكاكون

مات لصالح بن عبدالقدوس - مُعتزلي مُتكلم- غلام فمضى إليه أبو الهذيل ومعه النظَّام وهو غلام حدث، فرآه حزيناً.

فقال له: لا أعرف لجزعك وجهاً، إلا إذا كان الإنسان عندك كالزرع؛ حصاده في وقت معين.

فقال: إنما أجزع لأنه لم يقرأ كتاب "الشكوك".

فقال أبو الهذيل: وما كتاب الشكوك؟

قال: كتاب وضعته من قرأ فيه شك في ما كان، حتى يتوهمَّ أنه لم يكن، وشكّ فيما لم يكن، حتى يظن أنه قد كان.

فقال أبو الهذيل: فشُكّ أنت في موت ابنك، واعمل على أنه لم يمت، وإن كان قد مات. وشُكّ أنه قد قرأ ذلك الكتاب، وإن كان لم يقرأه.

علامة جره ..

كتب أحد الناس: (خرجْتُ من طيس) .

فقال رجل له: إنها (طوس) بالواو، وليست بالياء.

فقال رجل آخر: إنّ (مِن) تخفض ما بعدها.

فقال الكاتب: إنما تخفض حرفاً واحداً لا بلداً فيه خمسمائة قرية .

صاحبُ النَّقْبْ

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار:

حاصر مسلمة بن عبدالملك حصناً، وكان في ذلك الحصن نَقْبٌ - أي ثقب في الحائط - فندب الناس إلى دخوله، فما دخله أحد! فجاء رجلٌ من عرض الجيش - أي من عامته غير معروف - فدخله ففتح الله عليه الحصن، فنادى مسلمة: أين صاحب النَّقْبِ؟ فما جاءه أحد، فنادى: إني قد أمرت الآذِن بإدخاله ساعة يأتي، فعزمت عليه إلا جاء.

فجاء رجل إلى الآذِن فقال: استأذن لي على الأمير، فقال له: أنت صاحب النَّقْبِ؟ قال: أنا أخبركم عنه، فأتى الآذِن إلى مسلمة فأخبره عنه، فأذِن له، فقال الرجل لمسلمة: إنَّ صاحب النَّقْبِ يأخذ عليكم ثلاثاً: ألا تُسَوِّدوا اسمه -أي لا تكتبوه- في صحيفة إلى الخليفة، ولا تأمروا له بشيئ، ولا تسألوه ممن هو؟ -أي من أي قبيلة هو- قال مسلمة: فذاك له. قال الرجل: أنا هو.

فكان مسلمة بعد هذه الحادثة لا يُصلي صلاة إلا قال: **اللهم اجعلني مع صاحب النَّقْبِ.**

سؤال العدد

أرّث بروتاغوراس اليوناني فكرة فلسفية سوفسطائية هدامة مفادها أن: (الإنسان الفرد هو مقياس أو معيار الوجود، وأنه ليس للأشياء حقيقة واحدة في نفسها، فما هو موجود عند أحد ما لا يلزم وجوده عند غيره والعكس كذلك). بمعنى: (أنه لا يمكن الوصول إلى حقيقة مطلقة) وبهذا أصبح ذلك المبدأ هادماً لكل شيء، وهو مبدأ يُناسب عبثية الملاحدة والعلمانيين واللادينيين بصورة عامة، وهو مطعنهم الأساس في دين الإسلام وثبوتيته. وقد رد على هذه الفكرة الهدامة ثلّة من علماء المسلمين في القديم والحديث، ومن أطرف الردود الفاضحة لذلك المبدأ ماقاله ابن حزم -رحمه الله-:(ويكفي من الرد عليهم أن يقال لهم قولكم أنه لا حقيقة للأشياء حق هو أم باطل فإن قالوا هو حق أثبتوا حقيقة ما وإن قالوا ليس هو حقا أقروا ببطلان قولهم وكفوا خصمهم أمرهم).

السؤال: ما هو المسمى الذي تعرف به هذه الفكرة السوفسطائية؟

جواب سؤال العدد السابق: دليل الفِطْرة

الْمَقَامَةُ التَّبْشِيْرِيَّةُ

بقلم أ. عبد الإله الفايزي

حَدَّثَ جَاحِدُ بْنُ أَفَّاكَ* قال: طَرَحَنِي التَّطْوَافُ مَطَارِحَ الوِهَادِ، وَأَلْقَى بِيَ المَسِيْرُ فِيْ كُلِّ وَادٍ، قَاصِداً مَوَارِدَ الإِلْحَادِ، فَبَيْنَا أَنَا عَلَى مَشَارِفِ الْمَرْبَدِ، لِحُضُوْرِ مَحْفَلِ الأُدَبَاءِ مِنْ كُلِّ أَهْيَسٍ وَأَرْبَدٍ، إِذْ لَقِيْتُ بِأَحَدِ مَدَاخِلِهَا شَيْخاً قَدْ أَعْمَلَ الدَّهْرُ فِيْ وَجْنَتَيْهِ مِعْوَلَهُ، وَ الْتَوَى فَكَأَنَّ عَالِيَ قَوَامِهِ يُنَاجِيْ أَسْفَلَهُ، وَ قَدْ طَوَى شُحُوْبُ مُحَيَّاهُ بِسَاطَ مَحْيَاهُ، فَحَيَّيْتُ وَحَيَّا، وَكَانَ مُتَّكِئاً فَتَهَيَّا، وَقَالَ بِصَوْتٍ يَأْكُلُ بَعْضُهُ بَعْضاً، وَلِسَانٍ يَتَفَلَّتُ وَلا يَكَادُ يُمْسِكُهُ عَضّاً: آلْعِلْمُ سَاقَكَ أَمْ لِلذَّنْبِ أَجْرَيْتَ سَاقَكَ؟ قُلْتُ: أَتَعَلَّمُ، قَالَ: بِتَعَلُّمِ الإِيمَانِ وَالتَّوْحِيْدِ؟ أَمْ بِعِلْمِ مُقَارَبَةِ الْمُدَامِ وَالغِيْدِ؟ فَقُلْتُ فِيْ نَفْسِيْ: هَرِمٌ ذَاقَ وَجَرَّبْ، وَخَبَرَ الْمَكَانَ وَقَلَّبْ! ثُمَّ أَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: بَلْ عَدُوُّ التَّوْحِيْدِ وَخَصِيْمُهُ، وَنَاشِدُ الكَأْسِ وَصَرِيْمُهُ، فَقَالَ شَاهَتِ الْوُجُوْهُ الَّتِي تَصْحَبُكَ، وَبُئِسَ الدُّوْرُ الَّتِيْ تَحْضِنُكَ، أَتُعَادِيْ التَّوْحِيْدَ لله الْخَالِقِ، وَتَرْضَاهُ لِلْمُدَبِّرِ الْخَالِقِ**؟! وَتُؤْمِنُ بِالْمَطْبُوْعَةِ وَتَكْفُرُ بِالطَّابِعِ؟ يَامَسْلُوْبَ الْعَقْلِ وَخَائِبَ الأَهْلِ! تُقِرُّوْنَ بِأَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الْخَالِقُ، وَتَغْضَبُوْنَ إِنْ قِيْلَ اللهُ خَالِقُ؟ أَتَرْضَوْنَهُ لِلأَحْجَارِ وَتَأْبَوْنَهُ

عَلَى الْعَزِيْزِ الْجَبَّارِ؟ يَامَطَايَا إِبْلِيْسَ، وَعُبَّادَ رُوْمَا وَبَارِيْسَ، أَإِذَا ذُكِرَ اللهُ تَغَامَمْتُمْ، وَإِذَا تُلِيَ الْقُرْآنُ تَنَافَرْتُمْ؟! فَلاَ عَقْلاً أَطَعْتُمْ، وَلاَ عَاقِلاً صَدَّقْتُمْ، هَمُّكُمْ سَاقٌ وَسَاقٍ، وَارْتِيَادُ مَطَاعِمَ وَأَسْوَاقَ، تَزْعُمُوْنَ الاخْتِيَارَ، وَتُنْكِرُوْنَ الْمَشِيْئَةَ، فَتَمُوْتُوْنَ مُرْغَمِيْنَ، وَتَحْزَنُوْنَ مُجْبَرِيْنَ، لاَ بِأَمْسِكُمْ تُحِيْطُوْنَ وَلاَ لِغَدِكُمْ تَعْلَمُوْنَ، وَتُسَاقُوْنَ إِلَى الْمَوْتِ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُوْنَ، سَلُوْا الطَّبِيْعَةَ فَلْتُخَلِّدْكُمْ، وَنَاشِدُوْا الدَّهْرَ فَلْيُنَعِّمْكُمْ، وَحَدِّثُوْنَا عَنِ الطَّبِيْعَةِ الَّتِيْ أَوْجَدَتْكُمْ، أَهِيَ الْحَجَرُ الَّذِيْ تَسْحَقُوْنَهُ بِالآلاَتِ، أَمْ هِيَ الْمَاءُ الَّذِيْ تُجَفِّفُهُ النَّسَمَاتُ؟ قَالَ جَاحِدُ بْنُ أَفَّاكَ وَمَازَالَ الْعَجُوْزُ عَنِ الزَّجْرِ لاَ يَجُوْزُ، حَتَّى خَنَقَنِي بِمَوْعِظَتِهِ وَأَلْقَمَنِيْ الْحَجَرَ بِحُجَّتِهِ، فَانْكَسَرَتْ شِرَّةُ نَفْسِيْ، وَأَظْلَمَ عَلَيَّ يَوْمِيْ وَأَمْسِيْ، فَقَطَعْتُ بِغَلِيْظِ الْقَسَمِ أَنْ لاَ أَقِفَ إِلاَّ فِيْ الْحَرَمِ، تَائِبَاً وَمُنِيْبَاً، وَمُخْبِتَاً للهِ مُجِيْبَا، وَتَرَكْتُ الْشَيْخَ وَأَدْبَرْتُ، وَمِلْتُ إِلَى أَدْنَى الأَسْوَاقِ وَتَزَوَّدْتُ، وَمَضَيْتُ أَشْتُمُ الشَّيْطَانَ وَمَنْ وَالاَهُ، وَأَدْعُو لِكُلِّ جَاهِلٍ قَدْ ضَلَّ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ.

---

* أفَّاك: تركتها مفتوحة للعلمية وصبغة الحال، فهي ممنوعة من الهضم، على وزن الصرف!

** الخالق: بمعنيين أولهما الخالق البارئ المصوّر سبحانه وتعالى وثانيهما من البلى والاهتراء.

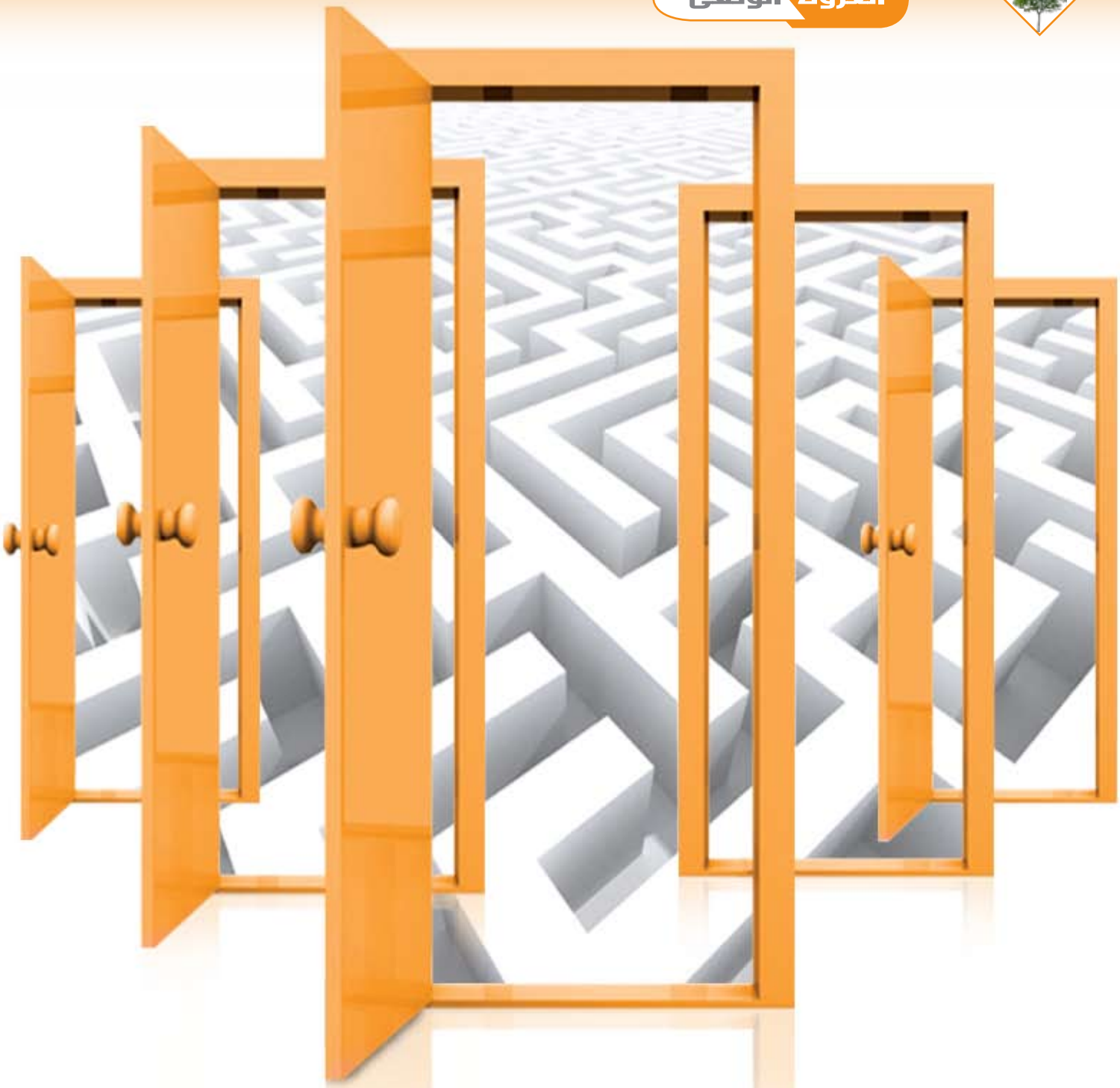

لا أعلم هويتي

الجزء الثاني

بقلم د. حسام الدين حامد

منتدى التوحيد
منتدى التوحيد > الأقسام العامة > قسم الحوار عن الإسلام
لا أعلم هويتي
قسم الحوار عن الإسلام (القضايا المتعلقة بالإسلام وتحدياته ووسائل نشره وتطبيقه والشبهات المثارة حوله)
أدوات الموضوع ▼ ابحث في هذا الموضوع ▼ تقييم الموضوع ▼
حائر
عضو
المذهب أو العقيدة: لا أدري
المشاركات: 1
الإخوة الكرام، صدقوني لا أعلم ماذا أفعل في هذه الأيام، حرقةٌ في قلبي تقتلني، أحتاج إليكم وأحتاج معونتَكم، أعلم أن وراء هذا الكون خالقًا ولكنني متكبر لدرجة عدم التصديق، صدق القائل: إن الكفر عناد! وأنا أحد هؤلاء المعاندين الرافضين الخضوع، هل هناك علاج لمشكلتي؟؟
ما أريده فقط إقناع عقلي بوجود الخالق، إقناعٌ وإيمانٌ مطلق، أريد أن أصل إلى الراحة التي وصلتم لها، ولا أعلم أين الطريق؟!

يقول د. حسام الدين حامد مكملاً رده على السائل:

المثال الثاني:

قال تعالى:

غُلِبَتِ الرُّومُ ۞ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ
وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۞ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ
الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ
[Ð-Ď : ĬĂƧ!ƒ]

"البضع هو العدد بين ٣ و ٩ أو ٣ و ١٠ "

قال تعالى:

هذا تنبؤ بأن الروم ستغلب في بضع سنين، ولو مرت بضع سنين ولم تغلب الروم فقد انتهى الأمر وبطلت النبوءة وبطل الدين !!

وفي نفس الوقت، عند الكلام عن موعد الساعة لا يتكلم ﷺ فيه ويقول إنه لا يعلمه ولو أنه قال: "ستقوم بعد ٥٠٠ سنة" لما ضره ذلك شيئًا !!

لو سألت أي دجال في العالم سؤالين وقلت له أجب عن سؤال واحد مما يأتي:

١- هل ستغلب روسيا أمريكا في خلال ١٠ سنين ؟

٢- متى تكون نهاية العالم ؟

على أي السؤالين سيجيب: الأول أم الثاني ؟!

سيجيب عن السؤال الثاني بلا تردد يُذكر ويترك السؤال الأول لأنه سيخشى أن ينفضح أمره.

فلِمَ كان الحال مع النبي ﷺ هو العكس ؟!

التفسير الإسلامي: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴾ [Ð-ď : ⁄ηψ!ƒ]

التفسير الإلحادي: ..... لن تجد تفسيرًا مقنعًا.

أزيدك أم تردّ عليّ ؟ أزيدك - بإذن الله - فاصبر ! فإن للكلام بقية !

علّك ينقصك سجود تبلل فيه الدموع أسربة الكآبة والحزن فتخرج من سجدتك بصدرٍ منشرحٍ لا ضيقًا حرجًا كأنما يصعد في السماء.

تقول: "أعلم أن وراء هذا الكون خالقًا ولكنني متكبر لدرجة عدم التصديق".

مثل ذاك العبد الذي هرب من سيده، وأخذ يبعد ويبتعد حتى ظن أنه سيخرج من ملك سيده لأنه يأبى أن يكون عبدًا، ولكنّ ذلك العبد الآبق لا يدري أنه ما زال في ملك سيده، وأن سيره هذا ما هو إلا علامة على رحمة سيده به، ولو شاء سيده

لأتى به مسلسلا بالسلاسل، وعجبًا لقوم يدخلون الجنة بالسلاسل!!

أتظنك كهذا العبد ؟ أظنك أحكم من أن تكون مثله.

ألم تقرأ قول الله تعالى:

فأنت عبد أسير، سرت ما سرت وتكبرت ما تكبرت فأنا وأنت عبيد لله، ولو شاء الله لأخذك أخذ عزيزٍ مقتدر، لكنه حليمٌ بك على بُعدك، يدلك على مواضع الهداية على كِبرك، فما لك تنأى ؟! ولم لا تقول: "وعساك ربي ترضى" ؟!!

لقد حدثتك عن رسول الله ﷺ ، وكيف هو لا يكون إلا صادقًا، وكيف هو لا يكون إلا رجلا لا يكذب على الله في أي أمر، فتعال الآن أحدثك عن رب الرسول ﷺ .

تعال إلى ربي وربك ورب العالمين أحدثك عنه.

ثانيًا: إنه اللّه

أظنني الآن في ورطة !! أتُراني أحدثك عن الله بما يكفي !!

سبحانه لا نحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، لذا سأقتطف من ملكوت الله ما أدعه يتحدث عن الله خالقه.

فأبرأت ذمتي بأن جعلت غيري يتحدث، بعد أن أبرأتها بأن الحديث لن يكفي، وكيف عساه أن يكفي ؟! ومن أين أقتطف؟!

لن أبعد بك في ملكوت السماوات والأرض، بل تعال معي في أعماق نفسك، أتعرف أن في جسدك محابس وصمامات أمان ؟!! تعال أحدثك عن هذه الصمامات.

من أين أبدأ ؟! هل أبدأ من ذلك الصمام الذي يمنع الأكل حين تبلع أن يصل إلى الجهاز التنفسي بدلا من أن يصل إلى المريء ؟!!

إن هذه المنطقة يعمل فيها أكثر من ١٠ عضلات ، أتعرف عنها شيئا ؟! أتعرف أسماءها ؟!! أتعرف كيف تعمل؟!! رغم الجهل بها فإنها تعمل.

هذه العضلات تنقبض فترفع القصبة الهوائية وتغلقها وتغلق الأنف من الخلف فلا يمر الطعام لأعلى في الأنف ولا لأسفل في مجرى التنفس، ولا يجد إلا طريقًا واحدا هو المريء.

فبالذي خلقك فسواك فعدلك من فعل هذا ؟!

ثم تعال إلى صمامٍ آخر ..

صمام يمنع الفضلات من المرور دون إرادة الإنسان، صمام يحرس الشرج ..

صمام داخلي وصمام خارجي ..

الداخلي لاإرادي وهذا الصمام يجعل القناة تحته فارغة ولذا لا يتعب الصمام الخارجي الإرادي بطول العمل ولا يمر الهواء بعد تراكمه رغما عن الإنسان والصمام الخارجي.

الصمام الخارجي حتى الآن ما زال علماء التشريح في حيرة من أمرهم، قالوا: هو عضلة واحدة ثم قالوا: أكثر والآن قالوا: ثلاث عضلات تنقبض فتجعل القناة الهضمية في وضع زاوية حادة فلا يمر شيء ..

أهكذا فقط ؟

بل هذا الصمام يشعر بطبيعة المادة داخله أهي غاز أم سائل أم صلب ! فإن أحسه الإنسان غازا تصرف بحسب ذلك وإن شعره صلبا تصرف بحسب ذلك. واللبيب يفهم بالإشارة.

تخيل لو كان الإنسان يتعامل مع المار في الشرج على أنه غاز فوجده صلبا ؟!!

يا للفضيحة ..

ثم تخيل لو كان هذا الصمام غير موجود.

يا للفضيحة ..

ثم تعال معي إلى صمام آخر ، الإفرازاتُ المرارية من الكبد تصل إلى الحوصلة المرارية من خلال قناة الحوصلة وتتجمع المادة في الحوصلة المرارية وعندما يأتي الطعام في الأمعاء تنبعث إشاراتٌ عصبية وهرمونية إلى الحوصلة فتنقبض فيمر السائل المخزن إلى الأمعاء؛ فالقناة المرتبطة بالحوصلة المرارية يمر بها السائل في اتجاهين، القناة الوحيدة في جسمك التي يمر فيها السائل في اتجاهين.

فكيف حال الصمام الذي في هذه القناة الصغيرةِ الصغيرة ؟

إنه صمام حلزوني الشكل، هذا الشكل الحلزوني يساعد السائل على المرور في اتجاهين.

فبالذي جعل لك عينين ولسانا وشفتين، من خلق هذا ؟!!

ثم تعال إلى صمامٍ آخر، صمامات القلب.

أتعرف عنها شيئا ؟ قصتها طويلة، كيف شكلها، كيف حركتها، كيف إغلاقها، كيف تتناسق في العمل ؟!! ورغم أن الكثيرين لا يعلمون عن ذلك شيئا فإنها تعمل.

تكفيك هذه الصمامات أم أزيدك ؟!

الصمام الذي في الاثنى عشر يتحكم في نزول السائل المراري إلى الأمعاء لإتمام الهضم، هذا الصمام ما زالوا في حيرةٍ من أمرهم في شأنه، قالوا: هو جزءٌ واحد، ثم قالوا: ثلاثة ثم قالوا: أربعة.

من خلق هذا الذي حير العقول ؟!!

قلها معي:

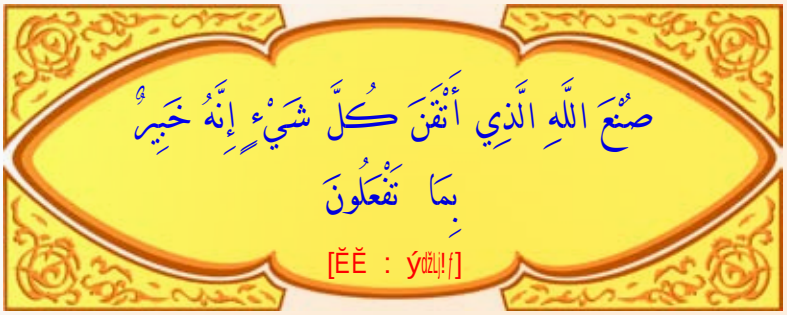

اكتفيت من الحديث عن الصمامات فإنها - والذي خلقها وخلقك - كثيرةٌ كثيرة، فخبرني عن المنطق الإلحادي هاهنا، ستجده منطقا باردا باهتا حائرا ليته يسكت دون منطق، ستجده خبالا يقول: "صدفة طائشة" ، ستجده سفاهة يقول: "طبيعة غير عاقلة" ، فتعال إلى المنطق الحق، والقول الصدق ..

التفسير الإسلامي: ﴿ قُلِ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ [dĐ : Σ¦Ăõ] قلها، وماذا عليك أن تقول: "آمنت بالله" ثم "تستقيم"؟!

التفسير الإلحادي: ..... لن تجد تفسيرا مقنعًا.

تعال نتعمق في المسألة:

الله ﷻ خلقنا ولم يتركنا هملا وأحاطنا بالنعم كما ترى، فجسدك شهيدٌ عليك يوم القيامة، هذا الرب الرحيم الذي لم يخلقنا ويتركنا كما يدعي السفهاء، هذا الرب الرحيم الذي لم يزل وحتى تقوم الساعة وبعد قيامها يحوطنا بالنعم والأفضال، وأسأل الله ألا تأتيك الساعة إلا وأنت مسلم.

هذا الرب يدبر لك أمر الصمامات في جسدك، ثم يترك دعيّا يقول: "أنا رسول الله إليكم" ولا يفضحه ويتركك تنخدع به ؟!!! كيف يكون ذلك ؟!

إن الأدعياء يقعون في التناقض والكذب وعلامات الدجل تتضح عليهم وتلك سنة الله الكونية فيهم.

انظر إلى غلام القاديانية وكبيرهم الكذاب الذي ادعى النبوة كيف وقع في الفضيحة تلو الفضيحة، وانظر في أمر النصارى حين حرفوا الكتب كيف انكشفوا وامتلأ الأمر بالتناقض واتسع الخرق على الراقع.

فتلك سنة الله الرحيم الذي أحاطك بعنايته في جسدك ونفسك ألا يدع كذابا دعيّا يتكلم باسمه ويتركه دون أن ينفضح أمره ورزقك العقل الذي تعرف به هذا التناقض و الدجل، فكما أحاطك بالرعاية في أمر دنياك أحاطك بها في أمر دينك.

فالسؤال الذي سيقف في حلق المنطق الإلحادي: لماذا لم يكن شيءٌ من ذلك مع رسول الله محمد ﷺ ؟!

لقد أخبرتك من قبل كيف أن النبي ﷺ صادقٌ، وكيف كان سيتصرف أيُّ دعيٍّ كذاب لو كان في مكانه، وقد كان تصرف النبي ﷺ على العكس من تصرف أي كذاب؛ ذلك أنه رسول الله ﷺ حقًّا وصدقًا.

والآن أخبرتك أن الرب الذي يحوطك بالعناية في جسدك لن يترك دعيّا لئيما يتكلم باسمه دون أن يفضحه وهذه سنة الله في خلقه، حدثت مع غلام بني قاديان ومع مسيلمة الكذاب - حتى صار الكذاب وصفًا لازما له - وحدثت مع النصارى حين حرفوا وبدلوا وحدثت مع اليهود حين حرفوا وبدلوا ومع كل من افترى على الله كذبا.

فإن جمعتَ ما أخبرتك به في المرة السابقة مع ما أخبرتك به في هذه المرة وجدت أن المنطق الإلحادي ليس له حينها إلا الخرس، وإن تكلم فاعلم أنه أصم لا يسمع، وإن كان يسمع فاعلم أنه لا عقل له وهذه هي الحال: المنطق الإلحادي على شفا جرف هارٍ قد سقط فيه بالفعل!

لكن العجب الأكبر يا صاحبي أن الله ﷻ لم يترك النبي ﷺ دون أن يوقعه في شيء مما حصل لكل كذاب دعيٍّ - ذلك أنه رسول الله حقًّا - فحسب ولكنه - فوق ذلك - أيده ونصره!!

نعم - والذي خلقك - أيده ونصره ..

أيده بما لم يكن ليكون إلا من رب العالمين، كيف أيده وكيف نصره بما لم يكن ليكون إلا من رب العالمين ؟!!

للحديث بقية بإذن الرحمن ..

قال الحكيم التِرمِذي:

صَلاحُ خَمسةٍ فِي خمسةٍ:
صَلاحُ الصبي في المكتب،
وصَلاحُ الفتى في العلْم،
وصلاحُ الكَهْلِ في المسْجد،
وصلاحُ المرأَةِ في البيت،
وصلاحُ المؤْذي في السِّجْن.

قال ابن قيم الجوزية:

دخل الناسُ النارَ من ثلاثةِ أبواب:
باب شبهةٍ أورثت شكًّا في دين الله، وباب شهوةٍ أورثتْ تقديمَ الهوى على طاعتِه ومرضاتِه، وباب غضبٍ أورث العدوان على خلقه.

ÑÆÊöäş ÐÅÅåÄÖöä

øÅÛĤöä åäúz .Ü ĻŸÖä

ماجستير فى هندسة الاتصالات

في هذا المقال سأعرض بعون الله سبحانه بعض الوثائق حول ادعاءات الميرزا غلام أحمد القادياني (١٨٣٩م - ١٩٠٨م) بخصوص الديانة السيخية والسيخِ في البنجاب، وهي وثائقُ متفرقة لا يجمعها سوى أن في كل منها دليلا على فساد الديانة القاديانية وكذب مؤسسها، ونحن بالطبع لسنا بحاجة إلى أدلة جديدة لإثبات كذب الميرزا، لكن الهدف الأساسي من جمع هذه الوثائق في مكان واحد هو محاولةُ فهم ظروف نشأة الديانة القاديانية وتبيينُ بعض أساليبها في تزييف التاريخ والتمويه على أتباعها.

وقبل البدء بعرض الوثائق سأعطي لمحة سريعة عن الديانة السيخية ومؤسسها البنجابي **"بابا ناناك"**.

بابا ناناك وديانة الكوكتيل

نشأ **غورو بابا ناناك** (١٤٩٦م - ١٥٣٩م) في عائلة هندوسية قرب لاهور في البنجاب خلال فترة حكم المغول المسلمين للهند، عمل لدى المسلمين وتأثر بهم، وقد كانت نفسه تتوق إلى تزعم فرقة دينية فأنشأ اجتماعاً دورياً في البنجاب أسماه "غورو لانغر" حيث كان يقدم فيه وجبات مجانية لأعضاء التجمع الذين كان بعضهم من الهندوس والبعض الآخر من مدعي الإسلام، وقام بابتداع مزيج بين الديانتين الرئيسيتين في الهند -الإسلام والهندوسية - وبهذا نشأت طائفة السيخ في الهند. يقول **ناناك** في كتاب "غورو جرانث" المقدس عند السيخ:

> **أنا لا أصوم ولا أتحرى شهر رمضان، لكنني أخدم إلها واحداً هو من سيحميني في النهاية، إلهٌ واحد إله الكون هو الله، هو العادل لكل من الهندوس والمسلمين، أنا لا أحج إلى مكة وكذلك لا أتعبد في المعابد الهندوسية لكنني أخدم إلها واحداً لا غيرَه، وأنا لا أتعبد على الطريقة الهندوسية وكذلك لا أصلي صلاة المسلمين، لكنني اتخذت إلها في قلبي وأنا أعبده هناك، أنا لست هندوسياً وأيضاً أنا لست مسلماً، لكن جسدي ونفسي مملوكان لله ومملوكان لرام إله كل منهما** [C]

ادعى **ناناك** بأنه أفاتار، والأفاتار هو تجسدٌ لروح الإله "فيشنو" حسب عقيدة الحلول الهندوسية ، لكنه في نفس الوقت دعا إلى توحيد الإله اعتماداً على بعض نصوص كتاب الهندوس المقدس وعلى القرآن. أخذ من الإسلام تحريمَ عبادة الأصنام لكنه أخذ من الهندوسية تحريمَ لحم البقر. وقد أوحى إليه إلهُه - على حد زعمه - ما يلي:

> **أن تأخذ ما يعود للآخرين هو كأن يأكلَ المسلم لحم الخنزير أو كأن يأكل الهندوسي لحم البقر، لكن إلهنا ومرشدَنا الروحي سيقف معنا إن لم نأكل هذه الخبائث ... إن إضافة البهارات إلى هذا الطعام المحرم لا يجعل منه طعاما حلالاً** [D]

الوثيقة الأولى:

تأسيس الديانة السيخية على يد نبي مسلم مؤيد بالمعجزات

عنوان هذه الوثيقة يلخص الادعاء الذي نشره **الميرزا غلام أحمد القادياني** قبل موته بأيام قليلة حيث بين **الميرزا** رأيه النهائي حول **"غورو بابا ناناك"** مؤسس الديانة السيخية، فقد ادعى **الميرزا** بأن مؤسس السيخية كان مسلماً لكن أتباعه حرفوا ديانتَه ودعوته، ولو اكتفى **الميرزا** بمعاندة التاريخ المتواتر فقط لما كان الأمرُ مستغرباً فقد عوّدنا على ذلك لكنه ختم ادعاءاتِه بالقول أن مؤسس السيخية كان مبعوثاً من الله سبحانه إلى الهندوس قبل ٣٠٠ سنة من زمن **الميرزا** وهو بهذا يشبه **كريشنا** المبعوث إلى الهندوس قبل أكثر من ٥٠٠٠ سنة. وادعى **الميرزا** أن **بابا ناناك** كان يتلقى الوحي الإلهي المدون في كتاب "جرانث" وهو الكتاب المقدس في الديانة السيخية، كما ادعى **الميرزا** بأن مؤسسَ الديانة السيخية كانت له معجزات عديدة وبأنه كان أفاتارا.

يقول **الميرزا غلام** في كتابه الأخير الذي نشره قبل أيام من موته:

> **"كريشنا" ادعى أن الوحي الإلهي كان ينزل عليه، أما أتباعُه فهم من أعطوه مقام الألوهية لكنه كان بلا شك نبيَّ زمانه وكان أفاتارًا، وقد منّ عليه الله بكلامه ووحيه. نفسُ الشيء بالضبط حصل مؤخراً بين الهندوس لكن هذه المرة مع "بابا ناناك" المحترم عالمياً والقديس المشرف في هذه البلاد والذي يُعرف أتباعُه باسم "السيخ" والذي يصل عددهم إلى مليونين على الأقل. "بابا ناناك" ادعى علناً أن الوحي الإلهي يتنزل عليه، والدليل على ذلك هو كتاب "جرانث".. إن الحقيقة المؤكدة هي أن "بابا ناناك" ظهرت على يديه آياتٌ ومعجزات عديدة شهد عليها الناس وأنه كان بلا شك من المصطفَين الأخيار الذين منّ الله عليهم بحبه** [d]

ومع أن كثيراً من السيخ- وعددهم اليوم يتجاوز ٢٠ مليونا - لا يؤمنون بالمعجزات إلا أن بعضَهم يَنسب **لبابا ناناك** معجزاتٍ شتى، ومنها أنه خلال زياراته المزعومة للتبشير بدعوته إلى زعماء البوذيين في التبت وإلى بابا الفاتيكان في روما وإلى المسلمين في بغداد قرر التنكر بزي المسلمين وزيارة مكة المكرمة أيضاً، وتقول القصة أن أحد القضاة المسلمين في مكة واسمه **جيفان** طلب من **ناناك** احترام الكعبة وعدم مد رجليه باتجاه الإله كما تزعم تلك القصة!!! وفجأة حدثت معجزة عظيمة حيث بدأت الكعبة نفسها بالطواف حول **ناناك**! فبُهت جميع زوار الكعبة!

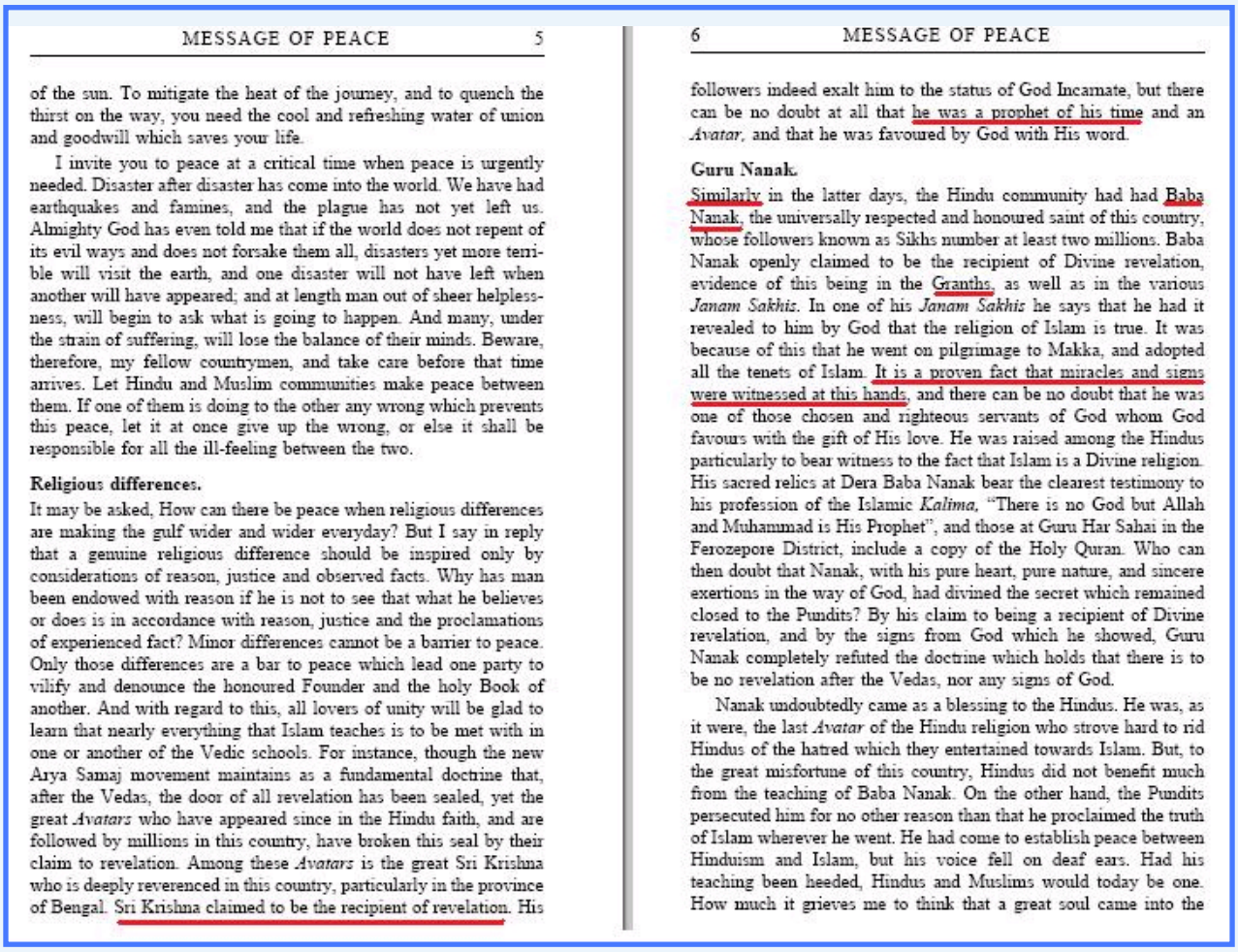

MESSAGE OF PEACE 5

of the sun. To mitigate the heat of the journey, and to quench the thirst on the way, you need the cool and refreshing water of union and goodwill which saves your life.

I invite you to peace at a critical time when peace is urgently needed. Disaster after disaster has come into the world. We have had earthquakes and famines, and the plague has not yet left us. Almighty God has even told me that if the world does not repent of its evil ways and does not forsake them all, disasters yet more terrible will visit the earth, and one disaster will not have left when another will have appeared; and at length man out of sheer helplessness, will begin to ask what is going to happen. And many, under the strain of suffering, will lose the balance of their minds. Beware, therefore, my fellow countrymen, and take care before that time arrives. Let Hindu and Muslim communities make peace between them. If one of them is doing to the other any wrong which prevents this peace, let it at once give up the wrong, or else it shall be responsible for all the ill-feeling between the two.

Religious differences.

It may be asked, How can there be peace when religious differences are making the gulf wider and wider everyday? But I say in reply that a genuine religious difference should be inspired only by considerations of reason, justice and observed facts. Why has man been endowed with reason if he is not to see that what he believes or does is in accordance with reason, justice and the proclamations of experienced fact? Minor differences cannot be a barrier to peace. Only those differences are a bar to peace which lead one party to vilify and denounce the honoured Founder and the holy Book of another. And with regard to this, all lovers of unity will be glad to learn that nearly everything that Islam teaches is to be met with in one or another of the Vedic schools. For instance, though the new Arya Samaj movement maintains as a fundamental doctrine that, after the Vedas, the door of all revelation has been sealed, yet the great *Avatars* who have appeared since in the Hindu faith, and are followed by millions in this country, have broken this seal by their claim to revelation. Among these *Avatars* is the great Sri Krishna who is deeply reverenced in this country, particularly in the province of Bengal. Sri Krishna claimed to be the recipient of revelation. His

6 MESSAGE OF PEACE

followers indeed exalt him to the status of God Incarnate, but there can be no doubt at all that he was a prophet of his time and an *Avatar*, and that he was favoured by God with His word.

Guru Nanak.

Similarly in the latter days, the Hindu community had had Baba Nanak, the universally respected and honoured saint of this country, whose followers known as Sikhs number at least two millions. Baba Nanak openly claimed to be the recipient of Divine revelation, evidence of this being in the Granths, as well as in the various *Janam Sakhis*. In one of his *Janam Sakhis* he says that he had it revealed to him by God that the religion of Islam is true. It was because of this that he went on pilgrimage to Makka, and adopted all the tenets of Islam. It is a proven fact that miracles and signs were witnessed at this hands, and there can be no doubt that he was one of those chosen and righteous servants of God whom God favours with the gift of His love. He was raised among the Hindus particularly to bear witness to the fact that Islam is a Divine religion. His sacred relics at Dera Baba Nanak bear the clearest testimony to his profession of the Islamic *Kalima*, "There is no God but Allah and Muhammad is His Prophet", and those at Guru Har Sahai in the Ferozepore District, include a copy of the Holy Quran. Who can then doubt that Nanak, with his pure heart, pure nature, and sincere exertions in the way of God, had divined the secret which remained closed to the Pundits? By his claim to being a recipient of Divine revelation, and by the signs from God which he showed, Guru Nanak completely refuted the doctrine which holds that there is to be no revelation after the Vedas, nor any signs of God.

Nanak undoubtedly came as a blessing to the Hindus. He was, as it were, the last *Avatar* of the Hindu religion who strove hard to rid Hindus of the hatred which they entertained towards Islam. But, to the great misfortune of this country, Hindus did not benefit much from the teaching of Baba Nanak. On the other hand, the Pundits persecuted him for no other reason than that he proclaimed the truth of Islam wherever he went. He had come to establish peace between Hinduism and Islam, but his voice fell on deaf ears. Had his teaching been heeded, Hindus and Muslims would today be one. How much it grieves me to think that a great soul came into the

أما القاديانيون فاعتبروا هذه القصة الطريفة عن زيارة **ناناك** لمكة ومعجزته هناك دليلاً على أنه كان مسلماً تقياً، وكما ترون في الوثيقة التي نشرها **الميرزا** قبيل موته فإن **الميرزا** ادعى أيضاً أن **ناناك** كان مبعوثاً من الله سبحانه إلى الهندوس وأنه كان يتنزل عليه الوحي الإلهي وأنه كان مؤيداً بالمعجزات! هذا مع أن **ناناك** سطر في كتابه "المقدس" بأنه لا يصوم صيام المسلمين ولا يصلي صلاتهم ولا يحج في مكة وصرّح بلا خفاءٍ ولا مواربة بأنه لا يرتضي الإسلام دينا.

وليت شعري كيف يخفى حال **ناناك** المؤيد بالمعجزات الإلهية على المسلمين في البنجاب مع أنهم كانوا حكام المنطقة في تلك الأيام، وكيف يخفى حالُ شخص كهذا على الناس كافة مع أنه لم تمض على تأسيس ديانته إلا ٣٠٠ سنة قبل مجيء **الميرزا**. وكيف يقبل مسلم استمرار الرسالة بعد محمد ﷺ ! وكيف يكون الرسول مبعوثاً إلى الهندوس خاصة بعد رسالة الإسلام إلى الناس كافة! وكيف يكون الوحي الإلهي مخالفاً لما جاء في القرآن الكريم.

أما القاديانيون اليوم فيُحرجون من إعلان نبوة **بابا ناناك** في الهندوس ويصرون على أن **الميرزا** نبيهم المزعوم هو النبي الوحيد الذي ظهر بعد موت الإسلام بألف سنة على حد زعمهم! ولهذا فهم يدعون بأن **الميرزا** لم يقصد أن **بابا ناناك** كان نبياً بل كان يقصد أنه من المسلمين الصالحين فقط، هذا مع أن **الميرزا** مات بعد نشره الكتاب بأيام قليلة وأكد في

كتابه بأن **ناناك** مؤيد بالوحي والمعجزات وبأنه مبعوثٌ إلى الهندوس مثل **كريشنا** الذي قال عنه **الميرزا** أنه النبي الذي أرسل إلى الهندوس قبل ٥٠٠٠ سنة. أما بالنسبة إلى وحي **بابا ناناك** "المقدس" فيدعي القاديانيون أن تلاميذ **بابا ناناك** "الصالحين" قاموا بتحريفه كلياً بمجرد موت **بابا ناناك**، هذا مع أن **الميرزا** استدل بذلك الوحي السيخي على أن الوحي الإلهي كان ينزل على **ناناك** كما رأينا في الوثيقة الأولى.

الوثيقة الثانية:
الميرزا وابنُ عمّه والتنافسُ في إحياء سنّة مؤسس السيخية

قبل عرض الوثيقة أود أن ألفت النظر إلى ظاهرة فريدة عجيبة تميزت بها ولايةُ البنجاب الهندية خلال القرون الأربعة الأخيرة وهي ظاهرة التسابق إلى إنشاء الطوائف التلفيقية التي تعتمد على أكثر من ديانة وكذلك ظاهرة إقامة الجلسات السنوية الدينية كطريقة لإنشاء تلك الطوائف العجيبة. وقد كان النجاح في إقامة هكذا جلسات دينية سبباً للتحاسد بين مريضي النفوس المتطلعين إلى التجارة بالدين وإلى قيادة الرعاع. ومن المشهورين في هذا المجال **بابا ناناك** مؤسسُ الديانة السيخية الذي اتخذ من الاجتماع الديني الدوري "غورو لانغر" الذي أسسه في البنجاب طريقاً إلى اختراع ديانة تلفيقية عجيبة.

والوثيقة الثانية هنا تبيّن أن ما فعله مؤسس الديانة السيخية في البنجاب كان رائجاً في عائلة **الميرزا غلام أحمد القادياني** نفسه، فابن عمّه المدعو **"ميرزا إمام الدين"** أسس طائفة دينية باستخدام طريقة الاجتماعات الدينية الدورية تماماً مثلما فعل **بابا ناناك** قبله بـ ٣٠٠ سنة، وقد نظر **الميرزا** إلى ابن عمه نظرة الحسد فشرع هو أيضاً بإقامة جلسات دينية دورية وتأسيسِ فرقة تلفيقية أخرى سنة ١٨٨٩م هي جماعته الأحمدية المشهورة اليوم بالديانة القاديانية.

وأنتم قد تذكرون اسم هذا المدعو **"ميرزا إمام الدين"** فهومن أبناء عمومة **الميرزا غلام**، فقد كان (**الميرزا غلام**) مضيعاً للأمانة حيث قام هو وقريبُه المذكور بتبذير الراتب التقاعدي لوالده بدلاً من توصيله إليه. والرواية مذكورة في كتاب "سيرة المهدي" الذي ألفه ابن الميرزا غلام أحمد القادياني، وجاء فيها ما يلي:

قالت لي والدتي الموقرة (يعني زوجة الميرزا غلام) : عندما كان حضرة المسيح الموعود (ميرزا غلام) عليه السلام شاباً ذهب لاستلام الراتب التقاعدي لجدك (والد الميرزا غلام). وقد رافقه في مشواره ميرزا إمام الدين. وعندما استلم الميرزا غلام راتب والده التقاعدي قام إمام الدين بإغوائه وأخذِه في مشوار خارج قاديان، وظلا يتنقلان من مكان إلى مكان حتى نفذت كل النقود فتركه إمام الدين وذهب إلى مكان آخر. وبسبب هذا العمل المحرج فإن المسيح الموعود لم يرجع إلى البيت. ولأن والدَه كان يرغب في توظيفه فإن حضرته (الميرزا غلام) توجه إلى بلدة سيالكوت وعمل موظفاً في مكتب نائب المفوض براتب ضئيل [D]

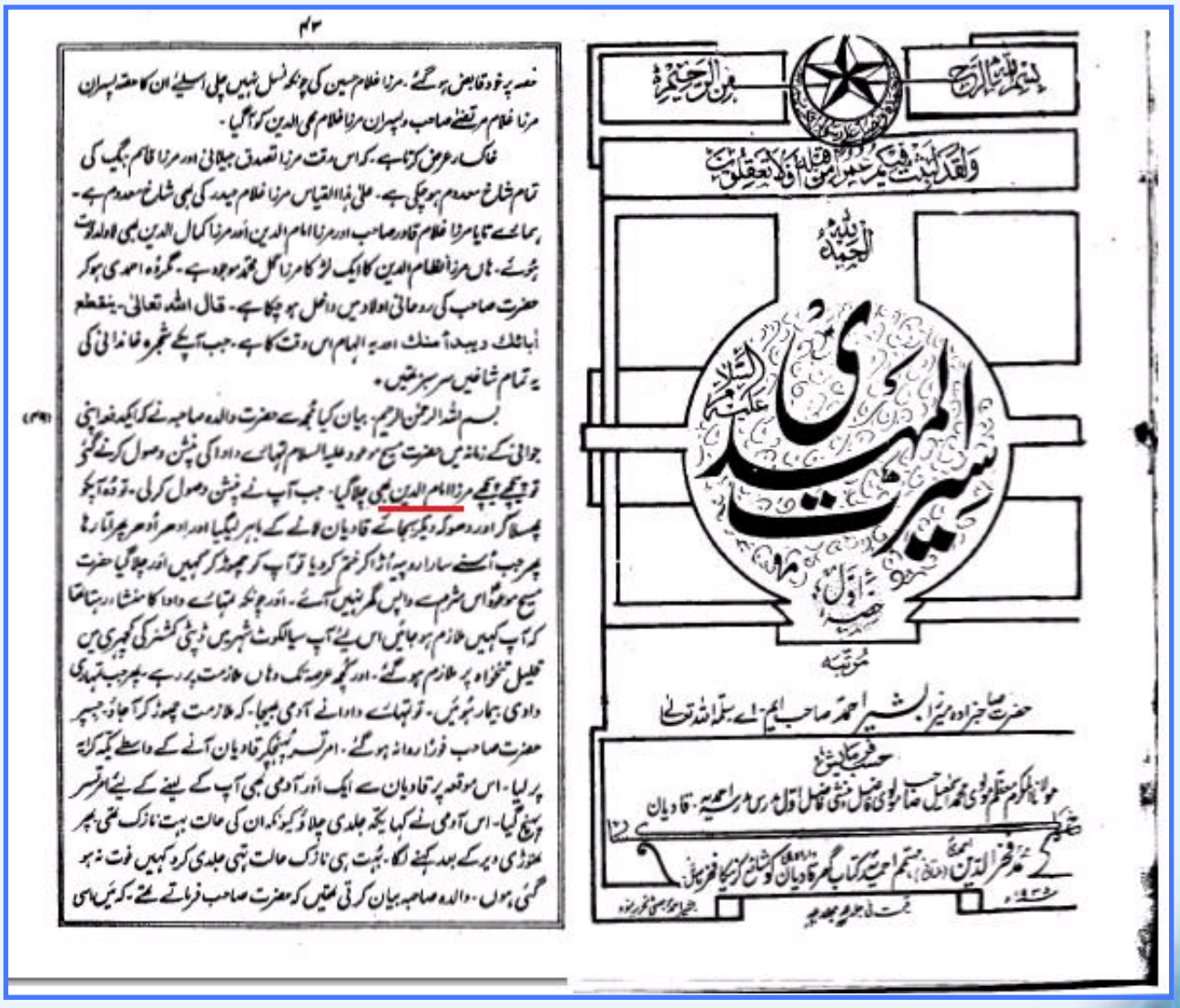

سیرت المہدی

حصہ اوّل

مرتبہ

حضرت صاحبزادہ مرزا بشیر احمد صاحب ایم۔ اے سلمہ اللہ تعالیٰ

وقد وقعت هذه الحادثة في عام ١٨٦٤م حيث عمل **الميرزا** بعدها موظفاً في مكتب نائب المفوض حتى عام ١٨٦٨م. وكان عمره وقت الحادثة حوالي ٢٥ عاماً.

أما قريبه هذا المدعو **"ميرزا إمام الدين"** فقام بإنشاء تجمعٍ سنوي ديني في قاديان لمجموعة الكناسين أو ما يعرف بطائفة الحلالخور المتواجدةُ في البنجاب، وكما فعل **بابا ناناك** من قبل فإن طائفة الحلالخور هذه كان نصفُها من الهندوس ونصفُها الآخر من مدعي الإسلام ويؤمنون بقديس اسمه **"لال بيج"** وهو شخص اخترع مزيجاً بين الإسلام والسيخية والهندوسية. و قد ادعى **"ميرزا إمام الدين"** بأنه الأفاتار أو التجسد أو الظهور الثاني للمدعو **"لال بيج"** وصدّقه في ادعائه عدد كبير من طائفة الحلالخور المتواجدة وقتها في قاديان.

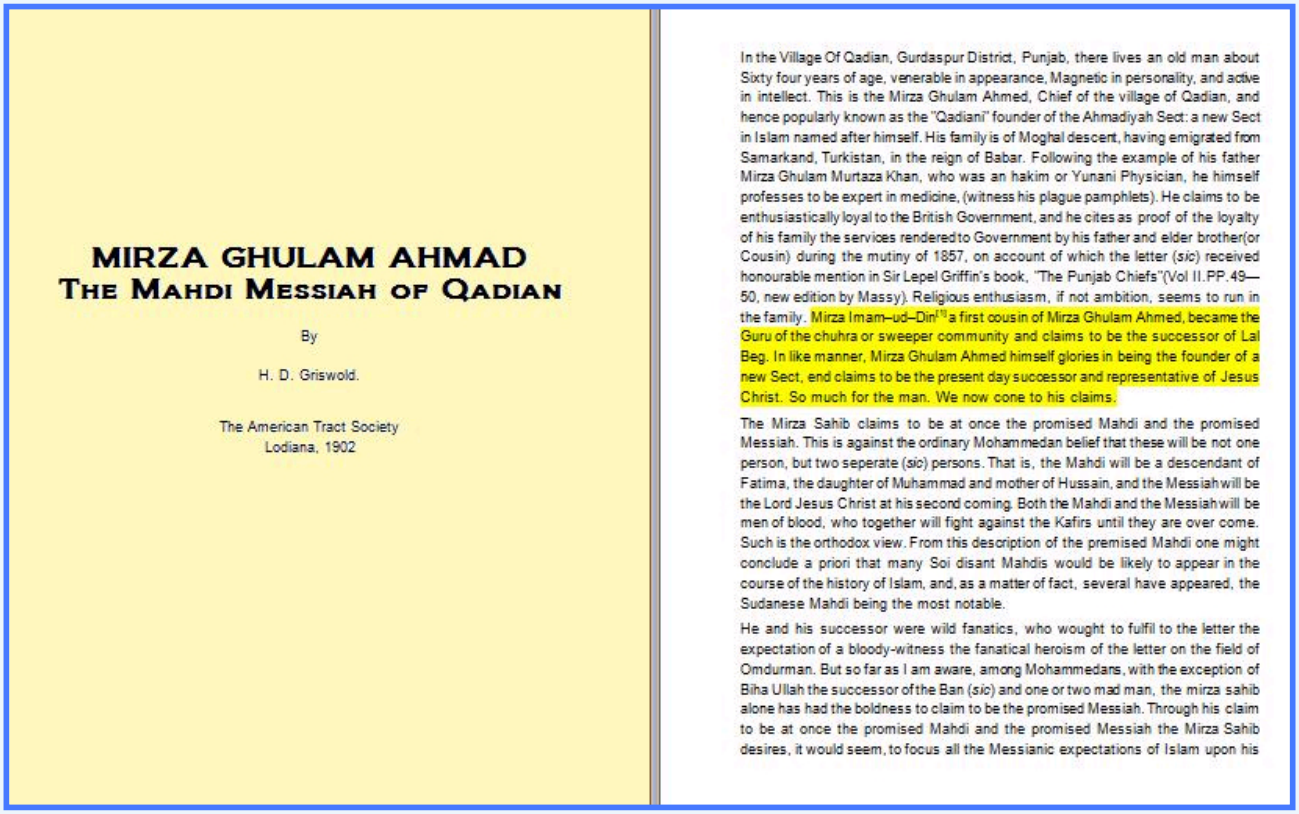

MIRZA GHULAM AHMAD
THE MAHDI MESSIAH OF QADIAN

By

H. D. Griswold.

The American Tract Society
Lodiana, 1902

In the Village Of Qadian, Gurdaspur District, Punjab, there lives an old man about Sixty four years of age, venerable in appearance, Magnetic in personality, and active in intellect. This is the Mirza Ghulam Ahmed, Chief of the village of Qadian, and hence popularly known as the "Qadiani" founder of the Ahmadiyah Sect: a new Sect in Islam named after himself. His family is of Moghal descent, having emigrated from Samarkand, Turkistan, in the reign of Babar. Following the example of his father Mirza Ghulam Murtaza Khan, who was an hakim or Yunani Physician, he himself professes to be expert in medicine, (witness his plague pamphlets). He claims to be enthusiastically loyal to the British Government, and he cites as proof of the loyalty of his family the services rendered to Government by his father and elder brother(or Cousin) during the mutiny of 1857, on account of which the letter (*sic*) received honourable mention in Sir Lepel Griffin's book, "The Punjab Chiefs"(Vol II.PP.49—50, new edition by Massy). Religious enthusiasm, if not ambition, seems to run in the family. Mirza Imam-ud-Din[1] a first cousin of Mirza Ghulam Ahmed, became the Guru of the chuhra or sweeper community and claims to be the successor of Lal Beg. In like manner, Mirza Ghulam Ahmed himself glories in being the founder of a new Sect, and claims to be the present day successor and representative of Jesus Christ. So much for the man. We now come to his claims.

The Mirza Sahib claims to be at once the promised Mahdi and the promised Messiah. This is against the ordinary Mohammedan belief that these will be not one person, but two seperate (*sic*) persons. That is, the Mahdi will be a descendant of Fatima, the daughter of Muhammad and mother of Hussain, and the Messiah will be the Lord Jesus Christ at his second coming. Both the Mahdi and the Messiah will be men of blood, who together will fight against the Kafirs until they are over come. Such is the orthodox view. From this description of the premised Mahdi one might conclude a priori that many Soi disant Mahdis would be likely to appear in the course of the history of Islam, and, as a matter of fact, several have appeared, the Sudanese Mahdi being the most notable.

He and his successor were wild fanatics, who wought to fulfil to the letter the expectation of a bloody-witness the fanatical heroism of the letter on the field of Omdurman. But so far as I am aware, among Mohammedans, with the exception of Biha Ullah the successor of the Ban (*sic*) and one or two mad man, the mirza sahib alone has had the boldness to claim to be the promised Messiah. Through his claim to be at once the promised Mahdi and the promised Messiah the Mirza Sahib desires, it would seem, to focus all the Messianic expectations of Islam upon his

ويبدو أنه عندما خسر **الميرزا غلام أحمد القادياني** وظيفته في سيالكوت سنة ١٨٦٨م نظر بعين الحسد إلى الأموال التي يجنيها ابنُ عمه من طائفته الدينية التي ابتدعها. وقد يكون حسده هذا هو سبب عدوانيته اللاحقة لابن عمّه والتي ظهرت في تهديداته له عندما طلب يد ابنة عمّه محمدي بيجوم ورفضوه. وقد يكون حسدُه لقريبه الدجال هو السبب وراء الإلهامات القاديانية التي يتفاخر فيها بتلقيه الأموال والهدايا والتحف الكثيرة من أتباعه.

وليبدأ بتأسيس علامته التجارية الخاصة - أقصد طائفته البنجابية - فإنه اتبع نفس طريقة **بابا ناناك** وطريقة ابن عمه **"ميرزا إمام الدين"** حيث بدأ **الميرزا** بتكوين جلسة سنوية دينية لأتباعه، وبهذا لم يقتصر تقليد **الميرزا غلام** للسيخية بتطويلِه لشاربيه فقط كما كنت أظن سابقاً.

هذه الحقيقة نشرها الدكتور **هـ. د. جرسولد** (١٨٦٠م-١٩٤٥م) الذي التقى شخصياً **بالميرزا غلام أحمد القادياني**، وقد نشر الدكتور **جرسولد** شهادته هذه في حياة **الميرزا** سنة ١٩٠٢م حيث ألف كتاباً عنوانه "مهدي ومسيح

قاديان" جاء فيه ما يلي:

لقد لاحظت أن الطموحات الدينية تتحكم بهذه العائلة، فمثلاً ميرزا إمام الدين ابن عم الميرزا غلام أحمد كان قد ادعى سابقاً بأنه الظهور الثاني للقديس "لال بيج" وصار زعيماً روحياً لطائفة الكناسين. وها هو الميرزا غلام أحمد يفتخر اليوم بأنه صار هو أيضاً زعيماً لفرقة دينية، وقد انتهى به الأمر إلى اعتبار نفسه الظهور الثاني للمسيح [d]

وقد تنبه لهذه الوثيقة مؤخراً صديقي الأستاذ (أكبر أحمد شودري) وهو قيادي قادياني كندي سابق أعلن إسلامَه قبل حوالي تسع سنين، وقد كان للأستاذ شودري برنامج دائم في قناة القاديانيين التلفزيونية وهو أول من أسس موقعًا قاديانيًّا على الإنترنت. أما كتاب "مهدي ومسيح قاديان" فقد تفضل بشرائه أخي الفاضل (شاهد كمال أحمد) وهو قادياني بريطاني سابق أعلن إسلامه في نهاية سنة ٢٠٠٤م وهو ناشط منذ ذلك الوقت في كشف عقائد القاديانية وله أيضاً موقعٌ شهير في مناهضة الصهيونية.

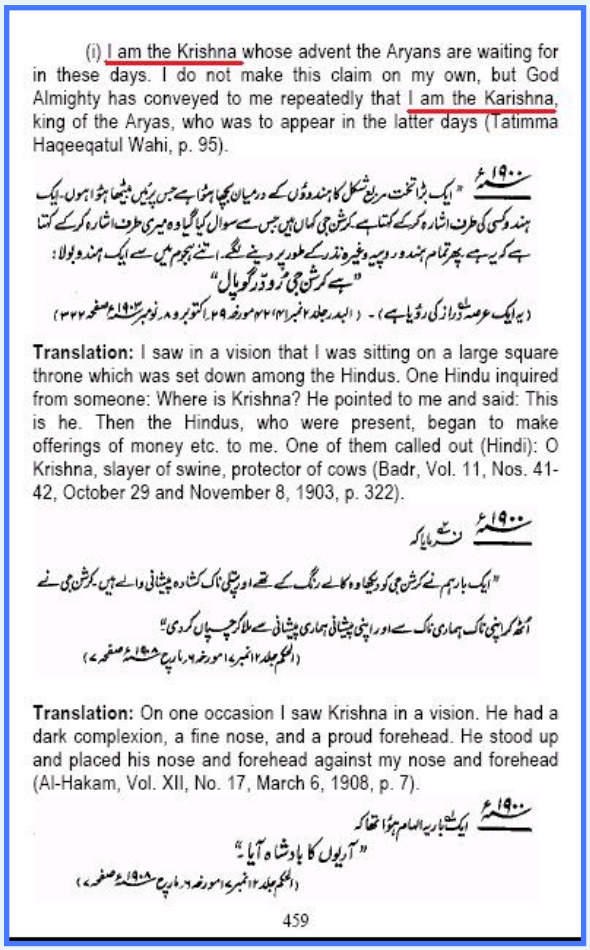

(i) I am the Krishna whose advent the Aryans are waiting for in these days. I do not make this claim on my own, but God Almighty has conveyed to me repeatedly that I am the Karishna, king of the Aryas, who was to appear in the latter days (Tatimma Haqeeqatul Wahi, p. 95).

۱۹۰۰ء "ایک بڑا تخت مربع شکل کا ہندوؤں کے درمیان بچھا ہوا ہے جس پر میں بیٹھا ہوا ہوں۔ ایک ہندو کسی کی طرف اشارہ کر کے کہتا ہے۔ کرشن جی کہاں ہیں جس سے سوال کیا گیا وہ میری طرف اشارہ کر کے کہتا ہے کہ یہ ہے۔ پھر تمام ہندو روپیہ وغیرہ نذر کے طور پر دینے لگے۔ اتنے ہجوم میں سے ایک ہندو بولا:
"ہے کرشن جی مُرودر گوپال"
(یہ ایک عرصہ سے دراز کی رؤیا ہے)۔ (البدر جلد ۲ نمبر ۴۱، ۴۲ مورخہ ۲۹ اکتوبر و ۸ نومبر ۱۹۰۳ء صفحہ ۳۲۲)

Translation: I saw in a vision that I was sitting on a large square throne which was set down among the Hindus. One Hindu inquired from someone: Where is Krishna? He pointed to me and said: This is he. Then the Hindus, who were present, began to make offerings of money etc. to me. One of them called out (Hindi): O Krishna, slayer of swine, protector of cows (Badr, Vol. 11, Nos. 41-42, October 29 and November 8, 1903, p. 322).

۱۹۰۰ء کرشن جی نے فرمایا کہ
"ایک بار ہم نے کرشن جی کو دیکھا وہ کالے رنگ کے تھے اور پتلی ناک کشادہ پیشانی والے ہیں۔ کرشن جی نے اُٹھ کر اپنی ناک ہماری ناک سے اور اپنی پیشانی ہماری پیشانی سے ملا کر چسپاں کر دی۔"
(الحکم جلد ۱۲ نمبر ۱ مورخہ ۶ مارچ ۱۹۰۸ء صفحہ ۷)

Translation: On one occasion I saw Krishna in a vision. He had a dark complexion, a fine nose, and a proud forehead. He stood up and placed his nose and forehead against my nose and forehead (Al-Hakam, Vol. XII, No. 17, March 6, 1908, p. 7).

۱۹۰۰ء ایک بار یہ الہام ہوا تھا کہ
"آریوں کا بادشاہ آیا۔"
(الحکم جلد ۱۲ نمبر ۱ مورخہ ۶ مارچ ۱۹۰۸ء صفحہ ۷)

459

وبالعودة إلى موضوع تنافُس **الميرزا غلام** مع ابن عمّه فإن **الميرزا غلام** تمادى بعد هذا في تقليد ابن عمّه ومجاراتِه، فإذا كان الهندوس يحترمون ابنَ عمّه لأنه ادعى بأنه الأفاتار أو التجسد لروح المدعو **"لال بيج"** إذاً فعلى هؤلاء الهندوس أن يحترموا **الميرزا غلام** أكثر لأنه ادعى لاحقاً بأنه الأفاتار أو التجسد لروح كريشنا الذي يعبده الهندوس. يقول **الميرزا غلام**:

أنا هو كريشنا الذي ينتظر الآريون ظهورَه هذه الأيام، وأنا لا أدعي هذا الأمر من عند نفسي لكن إلهي قد أوحى إليّ مراراً بأنني أنا كريشنا ملكُ الآريين والذي سيظهر في آخر الزمان [E]

۱۰ اپریل ۱۹۰۲ء "رنگرائے عالمِ جاودانی شد۔"
(الحکم جلد ۶ نمبر ۱۷ مورخہ ۱۰ مئی ۱۹۰۲ء صفحہ ۷)

Translation: Revelation (Persian): He took his way to the eternal universe (Al-Hakam Vol. VI No. 17 May 10, 1904 p. 7).

۱۹۰۲ء "حضرت اقدسؑ ایک روز فرماتے تھے ہم نے کشف میں دیکھا کہ قادیان ایک بڑا عظیم الشان شہر بن گیا اور انتہائی نظر سے بھی پرے تک بازار نکل گئے۔ اُونچی اُونچی دو دو منزلی یا چو منزلی یا اس سے بھی زیادہ اُونچے اُونچے چھتوں والی دوکانیں عمدہ عمارت کی بنی ہوئی ہیں اور موٹے موٹے سیٹھ، بڑے بڑے پیٹ والے جن سے بازار کو رونق ہوتی ہے، بیٹھے ہیں اور اُن کے آگے جواہرات اور لعل اور موتیوں اور ہیروں، روپوں اور اشرفیوں کے ڈھیر لگ رہے ہیں اور قسما قسم کی دوکانیں خوبصورت اسباب سے جگمگا رہی ہیں۔ یتے، بگھیاں، ٹٹھم ٹھن، پالکیاں، گھوڑے، اشکیں میں پیدل اس قدر بازار میں آتے جاتے ہیں کہ مونڈھے سے مونڈھا بھڑ کر چلتا ہے اور راستہ بمشکل ملتا ہے۔"
(از مضمون پیر سراج الحق صاحبؓ مندرجہ الحکم جلد ۶ نمبر ۱۶ مورخہ ۳۰ اپریل ۱۹۰۲ء صفحہ ۱۲، ۱۳)

Translation: I saw a vision that Qadian had developed into a great city. Its streets extended beyond the reach of sight. Its buildings rose up to several stories and its shops were well constructed with high platforms. There were well proportioned and well fed bankers and jewelers who had in front of them heaps of jewels, rubies, pearls, diamonds, and gold and silver coins and there were shops exhibiting all manner of bright shining stuffs. There was so much traffic in the streets of all kinds of conveyances that pedestrians found it difficult to make their way through the traffic (Article of Pir Sirajul Haq, Al-Hakam Vol. VI No. 16 April 30, 1902 pp. 12-13).

۱۹۰۲ء "دو دفعہ ہم نے رؤیا میں دیکھا کہ بہت سے ہندو ہمارے آگے سجدہ کرنے کی طرح جھکتے ہیں اور کہتے ہیں کہ یہ اوتار ہیں اور کرشن ہیں اور ہمارے آگے نذریں دیتے ہیں۔"
(الحکم جلد ۶ نمبر ۱۵ مورخہ ۲۴ اپریل ۱۹۰۲ء صفحہ ۸)

Translation: Twice I saw in my dream many Hindus bending down before me in veneration and making offerings to me saying: He is an avatar; He is Krishna (Al-Hakam Vol. VI No. 15, April 24, 1902 p. 8).

504

وكذلك ادعى **الميرزا** بأنه أيضاً أفاتار ، وهو الادعاءُ الذي ادعاه ابنُ عمه من قبل، يقول **الميرزا غلام**:

> **رأيت في المنام بأن كثيراً من الهندوس كانوا ينحنون لي احتراماً وتوقيراً وكانوا يشيرون إليّ قائلين: هذا هو الأفاتار، هذا هو كريشنا** [ë]

ثمّ بعد ذلك تمادى **الميرزا** أكثر وأعلن عن طريق وحيه بأنه أفاتار البراهمان على الطريقة البرهمية الهندوسية، حيث ادعى أن إلهَه خاطب الناس قائلاً

> **ليس من الجيد لكم أن تقفوا في وجه أفاتار البراهمان** [Ë]

و"أفاتار البراهمان" هو أحد الأسماء التسعة والتسعين التي ادعاها القاديانيون **للميرزا غلام** حيث اقتبسوها من وحي **الميرزا** وكتاباتِه، ومن أسماء **الميرزا** العجيبة أيضاً "المسؤول الحكومي العام" و "مريم" و "ابن مريم" و "الحق" و "رودر جوبال" و "رجل من فارس" و "خير الأنام" ولعل أكثرَها طرافة اسم "الحجر الأسود" و "جي سنغ بهادر".

أما ظاهرةُ التنافس في إنشاء الطوائف العجيبة في الهند فلا تزال موجودةً إلى يومنا هذا، وقد تلقيت قبل أيام رسالة من القادياني السابق "محمد مودود أحمد خان" يدعوني فيها إلى الإيمان برسالته إلى البشرية، فهو يدعي بأنه هو المسيح الموعود الحقيقي وبأنه أيضاً التجسد أو الأفاتار كالكي وبأن جميع الأديان قد بشرت بظهوره، والطريف أن هذا الأفاتار الجديد يقول بأنه جاء ليقضي على فتنة المسيخ الدجال والذي هو في نظره **الميرزا غلام أحمد القادياني** نفسه!

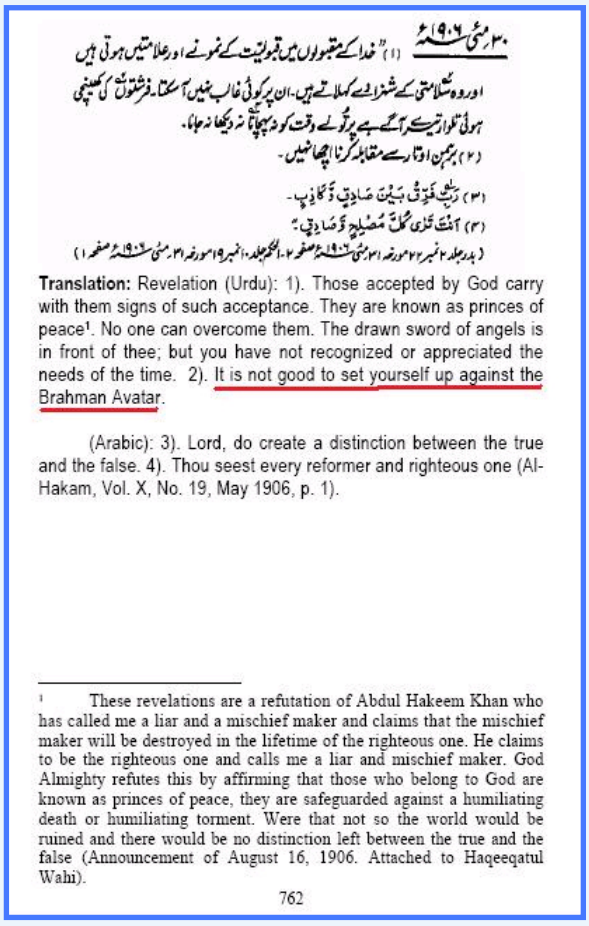

۳۰ مئی ۱۹۰۶ء (۱) "خدا کے مقبولوں میں قبولیت کے نمونے اور علامتیں ہوتی ہیں اور وہ سلامتی کے شہزادے کہلاتے ہیں۔ ان پر کوئی غالب نہیں آسکتا۔ فرشتوں کی کھینچی ہوئی تلوار تیسرے آگے ہے پر تُو نے وقت کو نہ پہچانا نہ دیکھا نہ جانا۔
(۲) برہمن اوتار سے مقابلہ کرنا اچھا نہیں۔
(۳) رَبِّ فَرِّقْ بَيْنَ صَادِقٍ وَّكَاذِبٍ۔
(۴) اَنْتَ تَرٰى كُلَّ مُصْلِحٍ وَّصَادِقٍ۔"
(بدر جلد ۲ نمبر ۲۲ مورخہ ۳۱ مئی ۱۹۰۶ء صفحہ ۲۔ الحکم جلد ۱۰ نمبر ۱۹ مورخہ ۳۱ مئی ۱۹۰۶ء صفحہ ۱)

Translation: Revelation (Urdu): 1). Those accepted by God carry with them signs of such acceptance. They are known as princes of peace[1]. No one can overcome them. The drawn sword of angels is in front of thee; but you have not recognized or appreciated the needs of the time. 2). It is not good to set yourself up against the Brahman Avatar.

(Arabic): 3). Lord, do create a distinction between the true and the false. 4). Thou seest every reformer and righteous one (Al-Hakam, Vol. X, No. 19, May 1906, p. 1).

[1] These revelations are a refutation of Abdul Hakeem Khan who has called me a liar and a mischief maker and claims that the mischief maker will be destroyed in the lifetime of the righteous one. He claims to be the righteous one and calls me a liar and mischief maker. God Almighty refutes this by affirming that those who belong to God are known as princes of peace, they are safeguarded against a humiliating death or humiliating torment. Were that not so the world would be ruined and there would be no distinction left between the true and the false (Announcement of August 16, 1906. Attached to Haqeeqatul Wahi).

762

۳۰ مئی ۱۹۰۶ء (۱) "خدا کے مقبولوں میں قبولیت کے نمونے اور علامتیں ہوتی ہیں اور وہ سلامتی کے شہزادے کہلاتے ہیں۔ ان پر کوئی غالب نہیں آسکتا۔ فرشتوں کی کھینچی ہوئی تلوار تیسرے آگے ہے پر تُو نے وقت کو نہ پہچانا نہ دیکھا نہ جانا۔
(۲) برہمن اوتار سے مقابلہ کرنا اچھا نہیں۔
(۳) رَبِّ فَرِّقْ بَيْنَ صَادِقٍ وَّكَاذِبٍ۔
(۴) اَنْتَ تَرٰى كُلَّ مُصْلِحٍ وَّصَادِقٍ۔"
(بدر جلد ۲ نمبر ۲۲ مورخہ ۳۱ مئی ۱۹۰۶ء صفحہ ۲۔ الحکم جلد ۱۰ نمبر ۱۹ مورخہ ۳۱ مئی ۱۹۰۶ء صفحہ ۱)

Translation: Revelation (Urdu): 1). Those accepted by God carry with them signs of such acceptance. They are known as princes of peace[1]. No one can overcome them. The drawn sword of angels is in front of thee; but you have not recognized or appreciated the needs of the time. 2). It is not good to set yourself up against the Brahman Avatar.

(Arabic): 3). Lord, do create a distinction between the true and the false. 4). Thou seest every reformer and righteous one (Al-Hakam, Vol. X, No. 19, May 1906, p. 1).

[1] These revelations are a refutation of Abdul Hakeem Khan who has called me a liar and a mischief maker and claims that the mischief maker will be destroyed in the lifetime of the righteous one. He claims to be the righteous one and calls me a liar and mischief maker. God Almighty refutes this by affirming that those who belong to God are known as princes of peace, they are safeguarded against a humiliating death or humiliating torment. Were that not so the world would be ruined and there would be no distinction left between the true and the false (Announcement of August 16, 1906. Attached to Haqeeqatul Wahi).

762

الوثيقة الثالثة:

الحقيقة المخزية "الولاءُ لكل مستعمر"

هذه الوثائق الأخيرة هي الأهم في نظري حيث تتعلق بكشف زور ادعاءات **الميرزا** وكذب تبريراته بخصوص ولائه هو وعائلتِه للحكومة البريطانية ودعمهم لجنود بريطانيا بحجة معاداته هو ووالده للحكام السيخ الذين اضطهدوا المسلمين في البنجاب. فالحقيقة التاريخية التي تكشفها الوثائق القاديانية نفسها هي أن والد **الميرزا** كان جندياً في جيش السيخ الذي كان يقاتل المجاهدين المسلمين في كشمير وقد كافؤوه على ولائه لهم. ولما بسطت بريطانيا نفوذها على أرجاء واسعة من الهند قام والد **الميرزا** بدعم البريطانيين ضد الثوار الهنود وأمدهم بالجنود والخيل فكافؤوه على ولائه الجديد.

Ruhani Khaza'in, Volume 13, Al-Balagh

البلاغ ۴۴۸ فریاد درد

مرّ علينا الليالي ما كان فراشنا فيها الا الوهاد - ولا موطأنا الا القتاد - فكنا
فجلوا الهموم باذكار هذه الدولة - ونجتلي زمننا طلق الوجه - بابشارتك المعدلة -
حتى اسعف الله بمرادنا - وجاء بهذه الدولة لاسعادنا - فوصلنا بها بشارة
تنشئ لنا كل يوم نزهة - وتذر عن قلوبنا كربة - الى ان خلصنا من الخوف
والاملاق - ونقلنا من عدم العراق الى الارفاق - وجاءنا النعم من الآفاق -
ونظم الاجانب في سلك الرفاق - وفزنا بمراما بعد خفوق راية الاخفاق -
وقد كنا في عهد الخالصة - اخرجنا من ديارنا ولفظنا الى مفاوز الغربة -
وبلينا باعواز المنية - فلقانا من الله علينا بمجئ الدولة البرطانية - فكانا وجدنا
ما فقدنا من الحق اثر الايمانية - فصار نزولها لنا نزل العز والبركة - ومغناه
سبب الفوز والغنية - ورائينا بها حبورا وفرحة - بعد ما ليثنا على المصائب
برهة - ورفعنا من ذل اخريات الناس - الى مراتب رجال هم القوم

وبالرغم من أن الوثائق الأخيرة تتضمن أيضاً ما قاله **الميرزا غلام** عن المجاهد **سيد أحمد بريلوي** المعروف **بسيد أحمد شهيد**، حيث امتدحه **الميرزا** مدحاً كبيراً، بل ادعى **الميرزا** أن **سيد أحمد شهيد** هو أحدُ الخلفاء المسلمين وادعى القاديانيون بأن شهيدًا هو مجدد القرن الثالث عشر الهجري،

هذا مع أن شهيدًا كان من أهل الحديث في الهند والذين يسميهم القاديانيون بالوهابيين الذين يكفّرون كل مُدَّعٍ للنبوة بعد خاتم النبيين ﷺ ، وكان شهيدٌ معادياً للبريطانيين وقام أتباعُه بمقارعة البريطانيين عندما استولَوا على البنجاب من السيخ، والحقيقة المخزية هي أن الجيش السيخي الذي قتل شهيدًا ورفاقَه هو جيش جبهة كشمير الذي انضم إليه "**ميرزا مرتضى**" والد **الميرزا غلام** أثناء دعمه للسيخ ضد المجاهدين المسلمين.

لقد ظل **الميرزا** في كتاباته العديدة يبرر موالاتَه المطلقة هو ووالدُه "**ميرزا**

مرتضى" للمستعمرين البريطانيين بأنها نوعٌ من الشكر لهم لأنهم خلصوا المسلمين من حكم السيخ الظالمين في البنجاب، ومما قاله **الميرزا** مثلاً في هذا المجال:

> **قد كنا في عهد الخالصة (من السيخ) أخرجنا من ديارنا ولفظنا إلى مفاوز الغربة وبلينا بأعواز المنية، فلما منّ الله علينا بمجيء الدولة البريطانية فكأنا وجدنا ما فقدنا من الخزائن الإيمانية فصار نزولها لنا نزول العز والبركة** [ĕ]

بالطبع فإن إجرام السيخ تجاه المسلمين حقيقةٌ تاريخية، لكن جرائم البريطانيين في الهند وفي حرب البور وغيرِها لا تقل بشاعةً عن أفعال السيخ، والحقيقة التاريخية الأخرى هي أن عائلة **الميرزا** كانت تجارتُها هي موالاةَ كل مستعمر ومناصرته ضد المجاهدين المسلمين، فقبل أن يناصر والد **الميرزا** البريطانيين ضد الثوار المسلمين في الهند سنة ١٨٥٧م كان موالياً تماماً للسيخ أثناء حكمهم للبنجاب، وقد أعطوه بعض الأراضي، بل إن السيخ الذين كانوا يرفضون بناء المساجد باعوا أرضاً من أراضيهم لوالد **الميرزا** لكي يبنيَ مسجده في قاديان والذي ادعى **الميرزا** بأنه هو المسجد الأقصى المبارك المذكور في القرآن.

> **المسجد الأقصى تمّ بناؤه على يد ميرزا غلام مرتضى ، أما الأرض التي بني عليها المسجد فكانت مملوكةً للسيخ لكنه اشتراها منهم بمبلغ مرتفع في ذلك الوقت مقداره ٧٠٠ روبية** [čč]

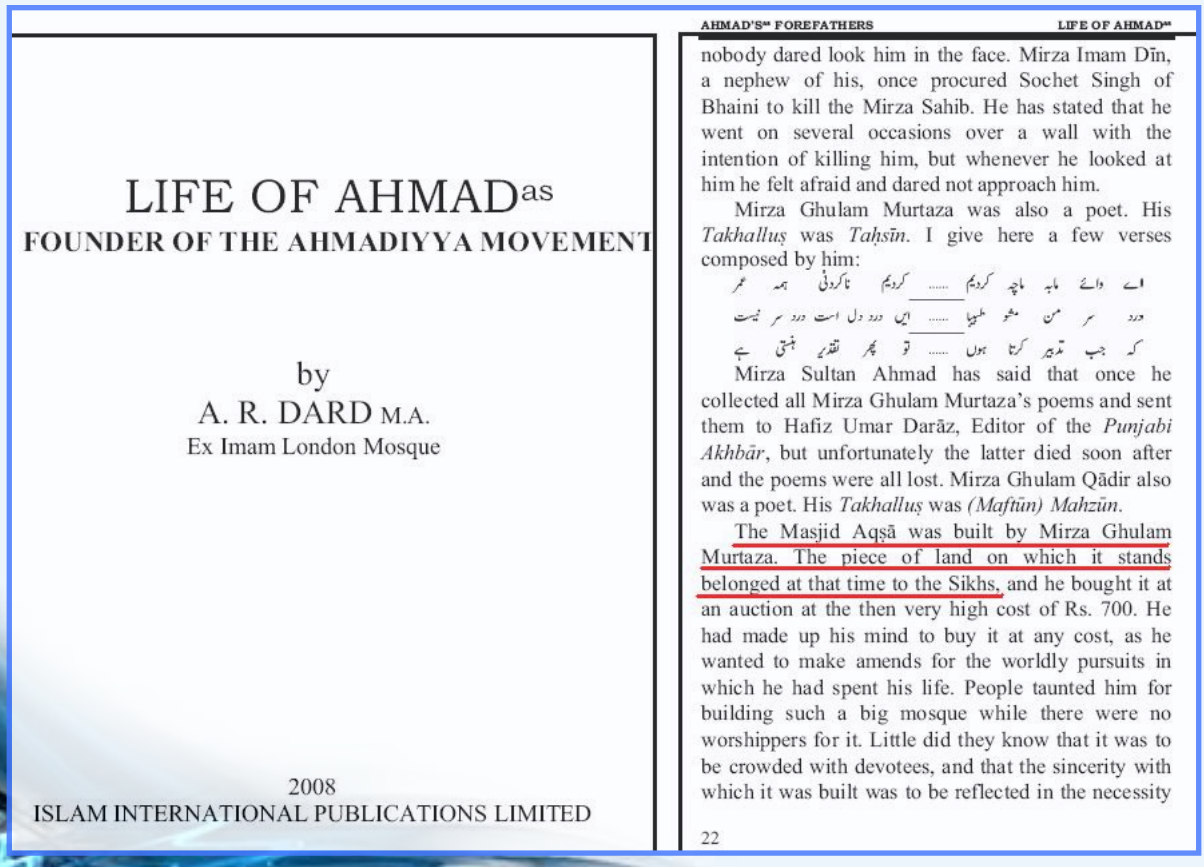

LIFE OF AHMADas
FOUNDER OF THE AHMADIYYA MOVEMENT

by
A. R. DARD M.A.
Ex Imam London Mosque

2008
ISLAM INTERNATIONAL PUBLICATIONS LIMITED

AHMAD'Sas FOREFATHERS LIFE OF AHMADas

nobody dared look him in the face. Mirza Imam Dīn, a nephew of his, once procured Sochet Singh of Bhaini to kill the Mirza Sahib. He has stated that he went on several occasions over a wall with the intention of killing him, but whenever he looked at him he felt afraid and dared not approach him.

Mirza Ghulam Murtaza was also a poet. His *Takhalluṣ* was *Taḥsīn*. I give here a few verses composed by him:

اے وائے ماہ ماچھ کردیم ..... کردیم ناکردنی ہمہ عمر

درد سر من مشو طبیبا ..... ایں درد دل است درد سر نیست

کہ جب تدبیر کرتا ہوں ..... تو پھر تقدیر ہنستی ہے

Mirza Sultan Ahmad has said that once he collected all Mirza Ghulam Murtaza's poems and sent them to Hafiz Umar Darāz, Editor of the *Punjabi Akhbār*, but unfortunately the latter died soon after and the poems were all lost. Mirza Ghulam Qādir also was a poet. His *Takhalluṣ* was *(Maftūn) Mahzūn*.

The Masjid Aqṣā was built by Mirza Ghulam Murtaza. The piece of land on which it stands belonged at that time to the Sikhs, and he bought it at an auction at the then very high cost of Rs. 700. He had made up his mind to buy it at any cost, as he wanted to make amends for the worldly pursuits in which he had spent his life. People taunted him for building such a big mosque while there were no worshippers for it. Little did they know that it was to be crowded with devotees, and that the sincerity with which it was built was to be reflected in the necessity

22

أما المصيبة الكبرى فهي انضمامُ والد **الميرزا** إلى جيش السيخ لقتال الثوار المسلمين في جبهة كشمير والذي كان على رأسهم الشيخ **سيد أحمد بريلوي** المعروف **بسيد أحمد شهيد**.

بعد هذا جاء زمن المهراجا السيخي "رانجيت سينغ" والذي ضمّ تحت جناحه تدريجياً الزعماءَ الصغار في البلد. وفي سنة ١٨١٨م سمح المهراجا للميرزا غلام مرتضى (والد الميرزا غلام أحمد القادياني) بالعودة إلى قاديان، وبعدها انضم "ميرزا غلام مرتضى" وأشقاؤه إلى جيش السيخ وقدّموا للجيش خدمات ممتازة في جبهات عديدة منها جبهة كشمير [čč]

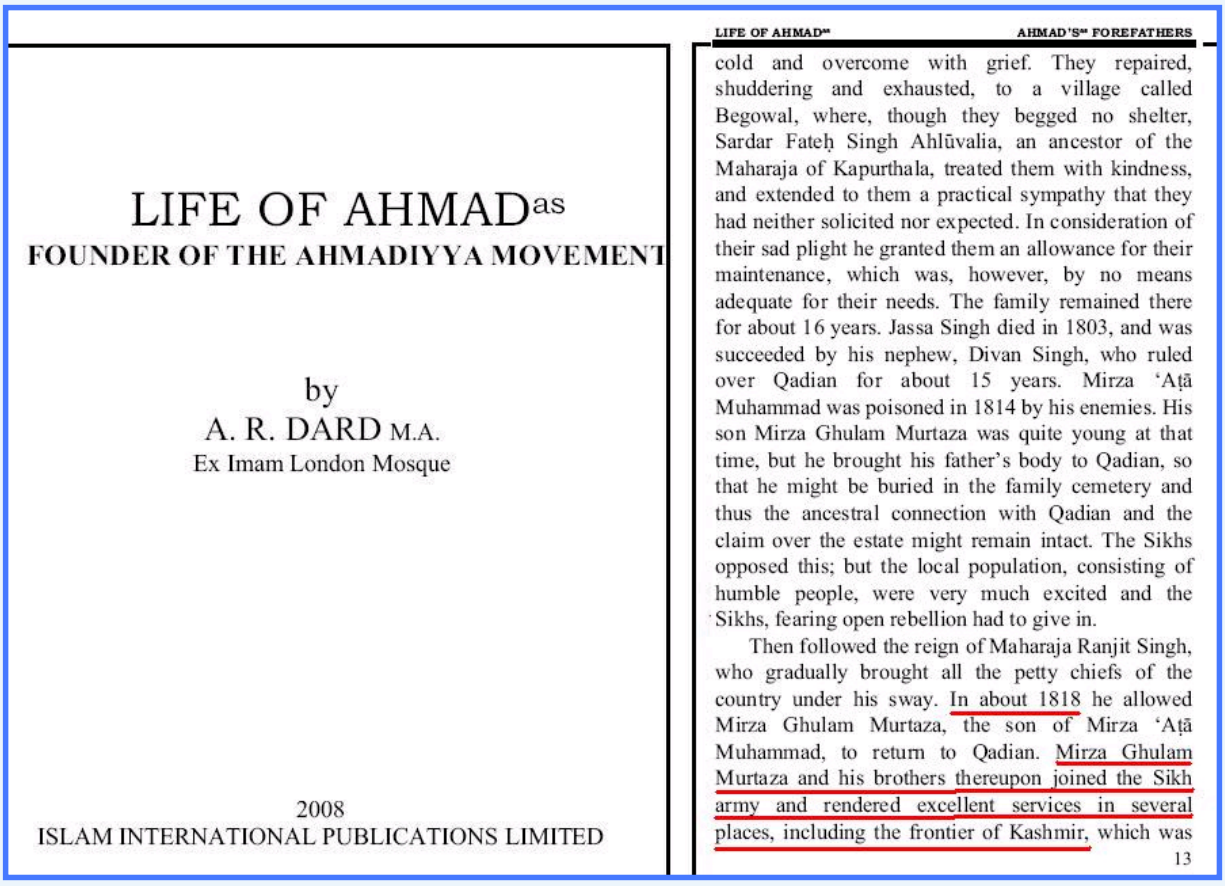

LIFE OF AHMADas
FOUNDER OF THE AHMADIYYA MOVEMENT

by
A. R. DARD M.A.
Ex Imam London Mosque

2008
ISLAM INTERNATIONAL PUBLICATIONS LIMITED

LIFE OF AHMADas AHMAD'Sas FOREFATHERS

cold and overcome with grief. They repaired, shuddering and exhausted, to a village called Begowal, where, though they begged no shelter, Sardar Fateḥ Singh Ahlūvalia, an ancestor of the Maharaja of Kapurthala, treated them with kindness, and extended to them a practical sympathy that they had neither solicited nor expected. In consideration of their sad plight he granted them an allowance for their maintenance, which was, however, by no means adequate for their needs. The family remained there for about 16 years. Jassa Singh died in 1803, and was succeeded by his nephew, Divan Singh, who ruled over Qadian for about 15 years. Mirza 'Aṭā Muhammad was poisoned in 1814 by his enemies. His son Mirza Ghulam Murtaza was quite young at that time, but he brought his father's body to Qadian, so that he might be buried in the family cemetery and thus the ancestral connection with Qadian and the claim over the estate might remain intact. The Sikhs opposed this; but the local population, consisting of humble people, were very much excited and the Sikhs, fearing open rebellion had to give in.

Then followed the reign of Maharaja Ranjit Singh, who gradually brought all the petty chiefs of the country under his sway. In about 1818 he allowed Mirza Ghulam Murtaza, the son of Mirza 'Aṭā Muhammad, to return to Qadian. Mirza Ghulam Murtaza and his brothers thereupon joined the Sikh army and rendered excellent services in several places, including the frontier of Kashmir, which was

13

ولنقرأْ كلام أحد الكتاب الهندوس عن ثورة "**سيد أحمد بريلوي**" ضد السيخ في البنجاب وثورة رفاقه بعد موته ضد البريطانيين لاحقاً عندما سيطروا على البنجاب:

قام المسلمون المغول في الهند بمساعدة سيد أحمد بريلوي في حربه ضد السيخ، وكانت استراتيجيتُه الرئيسية هي السيطرة على كشمير قبل شن هجومه الكبير على البنجاب. لكنه لاقى نجاحاً قليلاً في هذا المجال مع أنه قام بمحاولات عديدة. وفي النهاية وفي سنة ١٨٣١م لاقى سيد أحمد البريلوي مصيراً شبيهاً بمعركة واترلو حين اجتاحت قوات السيخ مركز حركته في بالاكوت. وسقط من يوصف بالمجاهد الكبير في أول معركة قتالية له، وقام السيخ بحرق جسده وجسد نائبه وقاموا بذرّ جزءٍ من بقايا الرماد في الريح. أما المسلمون

فأطلقوا عليه لقب "شهيد". وأما البقية الباقية من الوهابيين أتباعَه فقاتلوا السيخ في عدة معارك لاحقة لكنهم مرة أخرى لم ينجحوا، وعندما انتصر البريطانيون على السيخ سنة ١٨٤٩م شرع هؤلاء الوهابيون بمقاتلة البريطانيين، وتعالت صيحات "الله أكبر" في جبهات عديدة ضد البريطانيين في الجبهة الشمالية الغربية وفي مراكزَ عديدة داخل الهند مثل "بانتا" و "ميروت" و "باريلي" و "حيدر أباد" لكنها كانت معارك صغيرة، وبحلول عام ١٨٧٠م تمكن البريطانيون من سحقهم [čď]

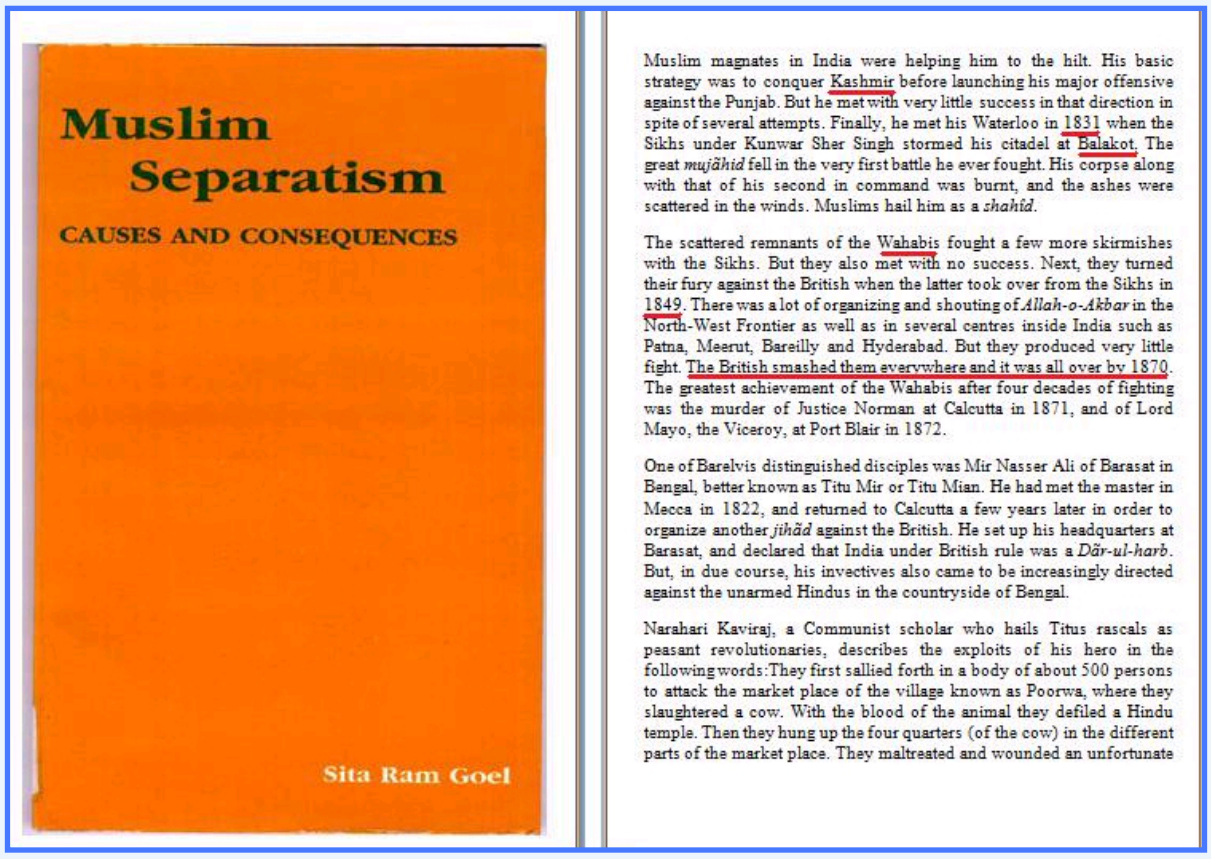

أما **الميرزا غلام أحمد القادياني** فقد تعامى عن حقيقة قتال والده مع السيخ وادعى بأن والده ما ناصر البريطانيين إلا لأنهم حرروا البنجاب من حكم السيخ. أما الشيخ **سيد أحمد بريلوي** فلم يتحدث **الميرزا غلام** عن دور والده في الجيش السيخي الذي قاتل **سيد أحمد بريلوي**، ولم يتحدث **الميرزا** عن أي سببٍ يدعو لمقاتلة **سيد أحمد بريلوي** بل على العكس فإنه شرع في مدحه لأن المسلمين في البنجاب كانوا يحبونه ويطلقون عليه لقب شهيد.

بل إن **الميرزا** تمادى في إطرائه حتى قال بأن **سيد أحمد بريلوي** هو أحد الخلفاء الراشدين المسلمين. يقول **الميرزا غلام**:

سيد أحمد شهيد البريلوي كان خليفة في سلسلة الخلافة المحمدية [čď]

Ruhani Khaza'in, Volume 17, Tuhfa-Golravea'

ٹائٹل پیج طبع اوّل

الحمد للہ والمنۃ

کہ یہ رسالہ پیر مہر علی شاہ صاحب گولڑوی اور ان کے مریدوں اور ہمخیال لوگوں پر اتمام حجت کے لئے محض نصیحتاً للہ شائع کیا گیا ہے اور بغرض اس کے کہ عام لوگوں پر حق واضح ہو جائے اس رسالہ کے ساتھ پچاس روپیہ کے انعام کا اشتہار بھی دیا گیا ہے جو اسی ٹائٹل پیج کے دوسرے صفحہ پر مندرج ہے اور یہ رسالہ موسوم بہ

تحفہ گولڑویہ

ہو کر

مطبع ضیاء الاسلام قادیان ضلع گورداسپور میں باہتمام حکیم حافظ فضل الدین صاحب بھیروی مالک مطبع چھپکر یکم ستمبر ۱۹۰۲ء کو شائع ہوا

قیمت ۱۰ اصل ۲ر — جلد ۴۰۰ — دکان ۱ر — کل ۱۳ر

Ruhani Khaza'in, Volume 17, Tuhfa-Golravea'

تحفہ گولڑویہ ۱۹۴

میسی اسرائیلی نہیں ہیں بسید احمد صاحب بریلوی سلسلۂ خلافت محمدیہ کے بارھویں خلیفہ ہیں جو حضرت یحییٰ کے مثیل ہیں اور سید ہیں۔

(۲) اور منجملہ ان دلائل کے جو میرے مسیح موعود ہونے پر دلالت کرتے ہیں خدا تعالیٰ کے وہ دو نشان ہیں جو دنیا کو کبھی نہیں بھولیں گے یعنی ایک وہ نشان جو آسمان میں ظاہر ہوا اور دوسرا وہ نشان جو زمین نے ظاہر کیا۔ آسمان کا نشان خسوف کسوف ہے جو ٹھیک ٹھیک مطابق آیت کریمہ وجمع الشمس والقمر اور نیز دارقطنی کی حدیث کے موافق رمضان میں واقع ہوا۔ اور زمین کا نشان وہ ہے جس کی طرف یہ آیت کریمہ قرآن شریف کی یعنی واذا العشار عطلت اشارہ کرتی ہے جس کی تصدیق میں مسلم میں یہ حدیث موجود ہے ویترک القلاص فلا یسعیٰ علیہا۔ خسوف کسوف کا نشان تو کئی سال ہوئے جو دو مرتبہ ظہور میں آگیا۔ اور اونٹوں کے چھوڑے جانے

شوکانی اپنی کتاب توضیح میں لکھتا ہے کہ آثار واردہ جو مسیح اور مہدی کے بارے میں ہیں وہ رفع کے حکم میں ہیں کیونکہ پیشگوئیوں میں اجتہاد کو راہ نہیں۔ مگر میں کہتا ہوں کہ بہت سی پیشگوئیاں مہدی اور مسیح کے بارے میں ایسی ہیں جو باہم تناقض رکھتی ہیں یا قرآن شریف کے مخالف ہیں یا سنت اللہ کی مخالف ہیں اور اس صورت میں اگر ان کا رفع بھی ہوتا تاہم بعض اُن میں سے ہرگز قبول کے لائق نہ تھیں۔ ہاں حسب اقرار شوکانی صاحب کسوف خسوف کی پیشگوئی بلاشبہ رفع کے حکم میں ہے بلکہ یہ پیشگوئی مرفوع متصل حدیث سے بھی صدہا درجہ قوی تر ہے۔ کیونکہ اس نے اپنے وقوع سے اپنی سچائی آپ ظاہر کر دی اور قرآن شریف نے اس کے مضمون کی تصدیق کی اور نیز قرآن شریف نے اس کے مقابل کی ایک اور پیشگوئی بیان فرمائی یعنی اونٹوں کے بیکار ہونے کی پیشگوئی۔ اس زمینی نشان کا ذکر آسمانی نشان یعنی کسوف خسوف کا مصدق ہے۔ کیونکہ یہ دونوں نشان ایک دوسرے کے مقابل پڑے ہیں اور ایسا ہی توریت کے بعض صحیفوں میں اس کی تصدیق موجود ہے اور یہ مرتبہ ثبوت کا کسی دوسری حدیث مرفوع متصل کو جس کے ساتھ یہ لوازم مذہوں حاصل نہیں۔ منہ

لہ القیامۃ: ۱۰ تا ۱۳ التکویر: ۵ تا ۱۰۸

أما القاديانيون فتبعوا **الميرزا** في مدحه **لسيد أحمد شهيد**، وتعاموا عن حقيقة أن **شهيد** كان من أهل الحديث الذين يصفهم القاديانيون بالوهابيين، وبأن عقيدته في ختم النبوة هي تكفير كل من يدعي النبوة بعد خاتم النبيين محمد ﷺ .

يقول القاديانيون في موقعهم الرسمي ما يلي:

قائمة المجددين في الإسلام: عمر بن عبد العزيز، أحمد بن حنبل، أبو الحسن الأشعري، أبو بكر الباقلاني، الغزالي، عبد القادر، الجيلاني، ابن تيمية، ابن حجر العسقلاني، جلال الدين السيوطي، محمد طاهر الكجراتي، أحمد السرهندي، شاه ولي الله، أحمد البريلوي، ميرزا غلام أحمد [ČĐ]

وكما لاحظتم فإن كل المسلمين المذكورين في القائمة كانوا ممن يكفّر كل مدع للنبوة، والعجب كل العجب أن يوضع اسم مدعي النبوة **الميرزا غلام** في نهاية هكذا قائمة! والعجيب أيضاً هو أن القاديانيين أهملوا ذكر مؤسس الديانة السيخية في قائمتهم فقد ادعى **الميرزا** بأن **بابا ناناك** كان من المرسلين المصطفين الأخيار!

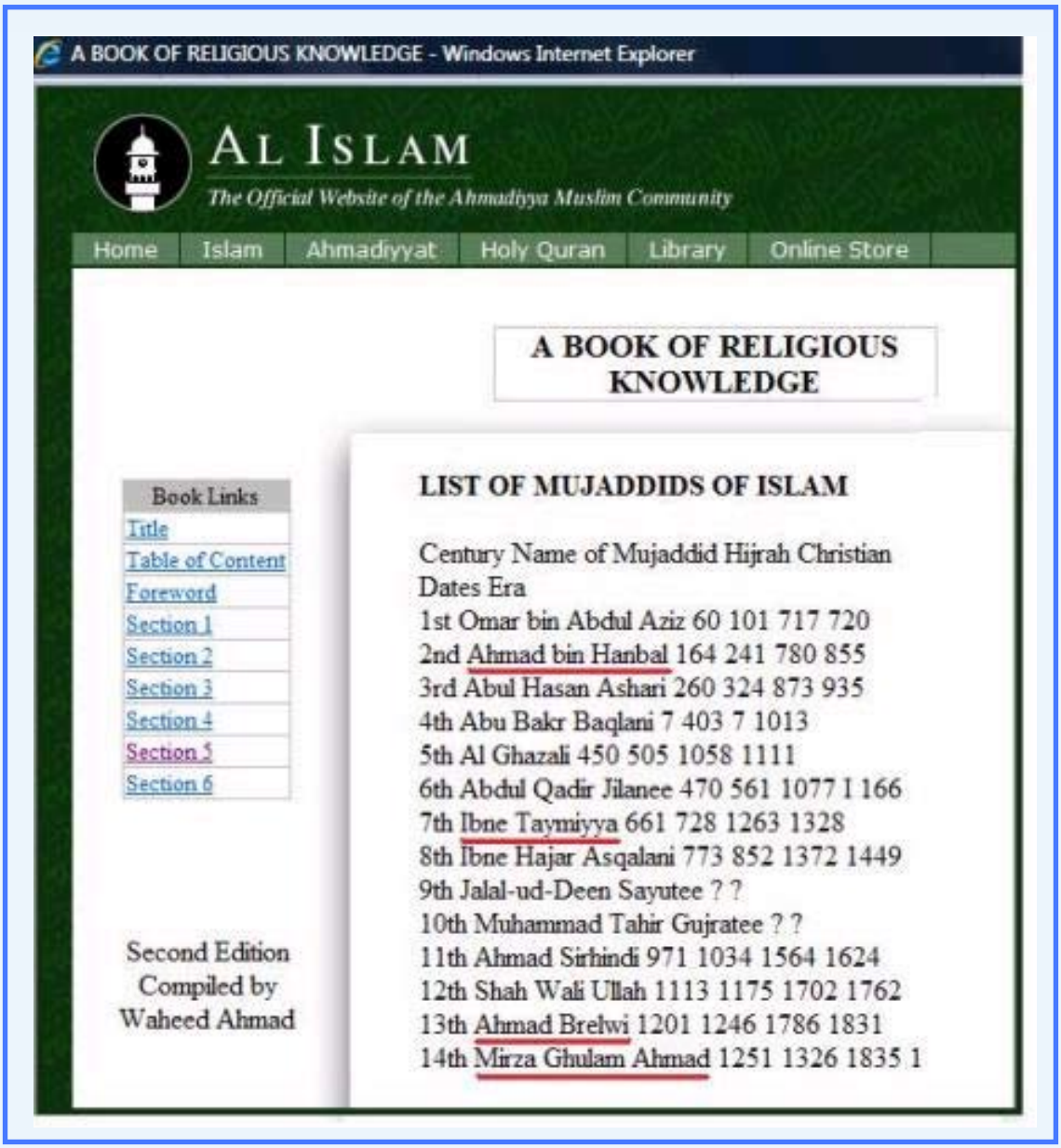

ألا يحق لنا التساؤل لماذا اعتبر القاديانيون الشيخ **محمد طاهر الكجراتي** (١٥٠٩م-١٥٧٨م) مجدداً بينما ظهر في زمانه وفي بلده **بابا ناناك** الذي ادعى **الميرزا** بأنه كان مرسلاً من الله سبحانه وبأنه كان يتلقى الوحي الإلهي وكانت له معجزات شتى!

والكجراتي هو **جمال الدين محمد طاهر الصديقي الفتني** من أهل الحديث، كانت بينه وبين الشيعة والمهدوية مناظرات فتآمر المهدوية عليه وقتلوه. وهو من تلاميذ **ابن حجر الهيتمي**.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

هوامش المقال:

[١] كتاب "جرانث المقدس" ص١١٣٦.

[٢] كتاب "جرانث المقدس" ص١٤١.

[٣] الترجمة الإنجليزية لكتاب "بيغام صلح" ص ٥ و ص ٦، نشر بتاريخ ١٩٠٨/٥/٢٤م.

[٤] الرواية رقم ٤٩ من كتاب "سيرة المهدي" الجزء الأول ص ٤٣.

[٥] كتاب "مهدي ومسيح قاديان" لمؤلفه الدكتور هـ. د. جرسولد سنة ١٩٠٢م.

[٦] كتاب الوحي القادياني "المقدس" تذكرة ص٤٥٩.

[٧] كتاب الوحي القادياني "المقدس" تذكرة ص٥٠٤.

[٨] كتاب الوحي القادياني "المقدس" تذكرة٧٦٢.

[٩] مجموعة الخزائن الروحانية ج١٣ البلاغ ص ٤٤٨.

[١٠] الكتاب القادياني "حياة أحمد" ص ٢٢.

[١١] االكتاب القادياني "حياة أحمد" ص ١٣ و ١٤.

[١٢] كتاب الحركة الانفصالية الإسلامية الأسباب والنتائج، الباب السابع، للكاتب الهندوسي سيتا رام جويل.

[١٣] مجموعة الخزائن الروحانية جزء ١٧، كتاب "تحفة غلوروية" ص ١٩٤.

[١٤] عن كتاب "المعرفة الدينية" تأليف القادياني وحيد أحمد، الطبعة الثانية، الباب السابع المنشور في الموقع الرسمي للقاديانية.

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى:

النظر في العواقب، وفيما يجوز أن يقع شأن العقلاء، فأما النظر في الحالة الراهنة فحسب، فحالة الجهلة الحمقى، مثل أن يرى نفسه معافى وينسى المرض، أو غنيا وينسى الفقر، أو يرى لذة عاجلة وينسى ما تجني عواقبها، وليس للعقل شغل إلا النظر في العواقب، وهو يشير بالصواب، من أين يقبل؟

لويس باستور و"التولد التلقائي" (2)

بقلم الأخ: aMiNe: هندسة كيميائية وعلوم زراعية

نستكمل في هذا العدد محاضرة العالم الفرنسي لويس باستور والتي ألقاها في السوربون بتاريخ ٧ أبريل ١٨٦٤ حول دحض المقولة السائدة آنذاك من أن المادة الجامدة تنتج حياة .

في هذه الآونة، يُظهر السيد باستور على "شاشة العرض": بعضا من هذه التولدات الصغيرة، المُوصوفة بـ"التلقائية" .. بعد ذلك [يُظهر] "نقاعيات ماء القش" (infusoires de l'eau de foin).. ثم "الأنيكليسات" (anguillules)، حيث أن حركتها المُماثلة لحركة الأفاعي، سريعة جدا، نظرا لأنها واقعةٌ فريسةً لتشنجات الموت. وهي تموت، بعد لحظات قليلة، بسبب درجة الحرارة المُرتفعة، في بُؤرة المجهر.

ها هي -سادتي- بعض التولدات التي قال عنها "**بيفون**"، ولا زلنا نحن أيضا نقول عنها، أنها : تلقائية.

وتحتدم نقاشاتٌ ساخنةٌ، كما هو الحال اليوم بين العلماء.. وبقدر ماكانت حيَّةً وصاخِبَةً، كانت لها انعكاساتها غير المباشرة على الرأي العام المُقسَّم دائما -كما تعلمون- بين تيارين فكريين كبيرين، قديمين قِدم العالم، واللذان يُسميان في يومنا هذا بـ : "المادية" (le matérialisme) و"الروحانية" (le spiritualisme).

أيُّ فتح -سادتي-، سيكون للمادية، إذا استطاعت أنْ تؤكد أنَّها تعتمد على حقيقة مُثبتة.. وهي أن المادة تنتظم من تلقاء ذاتها، وتُوهب الحياة من تلقاء ذاتها.. المادة التي لها كل القوى المعروفة!.. آهٍ! لو استطعنا أن نضيف إليها تلك القوة الأخرى المُسماة بـ : "الحياة"، والحياة مُتغيرة تبعا لظروف تجاربنا، فما الذي يبقى إذن لتأليه هذه المادة؟ لماذا اللجوء إذن إلى فكرة الخلق الرئيسي، أمام هذا السر الذي يجب أن نُذعن له؟ لماذا إذن فكرة الإله الخالق؟

و هكذا -سادتي-، قُبِل مذهب التولد التلقائي.. و[بالتالي فـ] ليس تاريخ الخلق وأصل العالم العضوي بأكثر صعوبة من ذلك..

نأخذ قطرة ماء من البحر الذي يتضمن قليلا من المادة الآزوتية.. وفي هذه المادة الجامدة ستَتَخلَّق الكائنات الأولى تلقائيا، ثم بعد ذلك تتحول شيئا فشيئا، وترتقي من رتبة إلى رتبة، مثلا في عشرة آلاف سنة إلى حشرة، وبعد مائة ألف سنة بلا شك إلى قردة وأناس [جمع "إنسان"].

هل فهمتم الآن الرابط الموجود بين قضية التولد التلقائي وتلك المسائل الكبرى التي أدرجتها في البداية؟

ولكن -سادتي-، في موضوع كهذا، ما يكفي من الشِّعر.. ما يكفي من الهوى، والحلول العفوية.

حان الوقت الآن ليسترِدَّ العلم -الطريقةُ الصحيحة- حقوقَه ويُمارسَها.

وهنا لا يُحتجُّ، لا بدين و لا فلسفة ولا إلحاد ولا مادية ولا روحانية. بل قد أضيف كعالِم: هذا لا يهمني.

هذه قضية "حقيقة"، بدأت دراستها دون أفكار مُسبقة، كنت مستعدا سواءٌ للإعلان، عن وجود التولدات التلقائية -إذا فرضت عليَّ التجارب الاعتراف بذلك-، أو عن كوني مُقتنعا اليوم، أن الذين يؤكدونها [يؤكدون نظرية

التولدات الذاتية]، معصوبي الأعين.

القضية مُلخَّصَة في هذه الكلمات :

من الذي يخطئ؟ من الذي يقوم بالتجارب على طريقة "فان هيلمونت"؟ من الذي يترك الفئران تدخل إلى وعاء القماش المتسخ، دون علمه، ثم يُعلن بعد ذلك أنها تولدات تلقائية؟

أنتم، يا أنصار هذا المذهب ؟ أنا، خصمه ؟

هذا ما سنحدده الآن وبدقة.

وبلا شك أنكم لا تنتظرون مني -سادتي-، أن أحدثكم عن كل التجارب التي هي محل نزاعٍ : سيكون في هذا إرهاق لانتباهكم، دون فائدة.. [وبالتالي] سأختار أهمَّها.

من المؤكد أنه إذا وُجدت حقائقُ، يَعتَبِرُها أنصارُ التولد التلقائي صحيحةً، فستكون تلك التي بسببها ظنوا أن من حقهم رفع عَلَم مذهبهم المنسي والمهزوم منذ نهاية هذا القرن.

في سنة ١٨٥٨، أتى السيد **"بوشي"** (**Pouchet**)، مدير متحف التاريخ الطبيعي في "غوين" (Rouen)، وعضو مراسل في الأكاديمية العلمية، ليعلن لهذه الأكاديمية، أنه نجح في إنشاء تجاربَ تُثبت، و بشكل قاطع، وجود كائنات مجهرية أتت إلى العالم بدون جراثيم، وبالتالي بدون آباء مشابهة لها.

ها هي عبارات، وتجارب هذا العالم الطبيعي :

ليس هواء الأتموسفير، و لن يستطيع أن يكون، وسيلة نقل لجراثيم الأجسام الأولى.
كنت أعتقد أنه لن يُترك أي مأخذ للانتقاد، إذا نجحت في تحديد تطور [ليس بالمعنى الداروينيِ] بعض الكائنات المُتعضية، باستبدال هواء الأتموسفير، بالهواء الإصطناعي.

انظروا جيدا إلى ما أراد الكاتب إثباته.

يقول أن الهواء، ليس، ولا يستطيع أن يكون، وسيلة نقل لجراثيم الأجسام الأولى.

وفي الواقع، هذا ما يزعمه الطبيعيون الذين لا يعتقدون بالتولد التلقائي، أي أن جراثيم الكائنات المجهرية موجودة في الهواء، وأنه يحملها وينقلها من بعيد بعد إثارتها من الأماكن التي تكثر فيها تلك الكائنات الصغيرة.

هذه هي فرضية خصوم "التولد التلقائي"، والسيد **"بوشي"** الذي يريد أن ينقضها، يضيف بكل ثقة:

« لن أترك أي مأخذ للانتقاد إذا نجحت في تحديد تطور بعض الكائنات المُتعضية، باستبدال هواء الأتموسفير، بالهواء الإصطناعي ».

وهذا صحيح ومنطقي، فلنرى كيف سيفعل السيد **"بوشي"** ذلك..

(هكذا رُويت التجربة في بحثه):

" قنينة سعتها واحد لتر، مُلئت بالماء المغلي، وأُحكم غلقها مع أقصى درجات الحذر، نقلبها فورا في وعاء به زئبق، وعندما يبرد الماء تماما، نفتحها تحت المعدن ونضيف نصف لتر من الأوكسجين الخالص ".

من هذا الغاز، الذي يُعتبر الجزء الحيوي والنافع من الهواء، والذي هو ضروري لحياة الكائنات المجهرية، كضرورته لحياة الحيوانات و النباتات الكبيرة.

إلى هنا، ليس لدينا في الإناء إلا الماء الصافي، وغاز الأوكسجين .. لنُتمم [عملية] النقيع.. :

" بعد ذلك فورا -يقول السيد **"بوشي"**-، نضع فيها -من تحت الزئبق-، حزمة صغيرة من القش، تزن ١٠ غرام، موجودة في قارورة مُحكمة الإغلاق وخارجة من فرن التجفيف الساخن على ١٠٠ درجة، حيث ظلت هناك ثلاثين دقيقة ".

(يمثل السيد باستور، هذه التجربة، حيث يضع القارورة تحت الزئبق، يفتحها و يُدخل القش في الحوجلة، الموضوعة مُسبقا فوق إناء الزئبق).

ها هي سادتي، التجربة التي شكَّكت في مذهب التولدات التلقائية.

ها هي نتيجتها: تطورَ عفن في القش، بعد ثمانية أيام.

فما هو استنتاج السيد **"بوشي"** ؟

[لقد استنتج أن] هواء الأتموسفير ليس هو ناقل جراثيم الكائنات المجهرية.

وبالفعل، كيف ستعترضون على السيد **"بوشي"** ؟

ستقولون له: أن الأوكسجين الذي استعملتَه، ربما يضم جراثيما؟

ولكن بـ"لا"، سيجيبكم، "لأنني استخرجته من مركب كيميائي".

وهذا صحيح، فلا يمكن أن يضم جراثيماً.

ستقولون له: أن الماء الذي استعملته، كان يضم جراثيما.

ولكنه سيجيبكم، بأن الماء الذي كان مُعرضا للهواء، يمكن أن يستقبلها [أيْ الجراثيم]، و لكنني كنت حريصا على وضعه [الماء] مغليا في الإناء، و إذا وُجدت جراثيم في درجة الحرارة هذه، فإنها ستفقد خصوبتها.

هل ستقولون له : أنه القش ؟

ولكن لا، فالقش خارج من فرن ساخن تحت درجة حرارة ١٠٠ درجة.

ومع ذلك، سنعترض عليه هذا الاعتراض الأخير، لأن هناك كائنات استثنائية، تُسخن في درجة حرارة ١٠٠ درجة، ولا تموت.

ولكنه سيجيب: هذا الاعتراض لا يمثل أية صعوبة! و يُسخن القش في درجة حرارة ٢٠٠، ٣٠٠ ... حتى يقول: أعتقد أنه وصل إلى درجة التفحم ..

حسنا، أنا سأقبل أن التجربة التي تمت هكذا، لا عيب فيها، ولكن فقط فيما يتعلق بالنقاط التي لفتت انتباه الكاتب.

وسأُثبت أن هناك سبب خطأ، لم يدركه السيد **"بوشي"**، ولم يُحطه بأدنى شك، ولا أحد من قبل جعله محل شك.

وسبب الخطأ هذا، جعل التجربة برُمتها، خادعة، باطلة كتجربة وعاء القماش المتسخ، التي قام بها **"فان هيلمونت"**..

سأثبت لكم من أين دخلت الفئران.

سأثبت لكم أنه يجب، إبعاد إناء الزئبق، في كل التجارب

المماثلة لهذه التجربة التي تشغلنا.

سأثبت لكم، - وسيبدو هذا غير عادي لأول وهلة- أن الزئبق هو الذي يجلُبُ {الجراثيمَ} في كل التجارب من هذا النوع، أو بالأحرى -لكيلا تذهب عبارتي حاليا، بعيدا عن الحقيقة المُثبتة -: {الغبارَ العالق في الهواء}..

لنُحدِث الظلمة في القاعة و نرسلَ حُزمة ضوئية.

ويمكنكم أن تروا، سادتي، اضطراب الغبار في حزمة الضوء.. وعلاوة على ذلك فحزمة الضوء، لا ترونها إلا بسبب وجود ذرات الغبار في هواء القاعة.. فإذا أُزيلت [ذرات الغبار]، فلن تروا شيئا، لأنه ليس الضوء ذاته هو المرئي.

هكذا، سادتي، هناك غبار في كل مكان من هذه القاعة.

وإذا كنت أملك بعض اللحظات الإضافية، لقلت لكم: انظروا جيدا إلى حُزمة الضوء، اقتربوا و سترون أن ذرات الغبار الصغيرة -بالرغم من اضطراباتها في حركات مختلفة- فإنها تسقط، في المتوسط بسرعة، وستميزون بعضا منها، وبعد ذلك ستنخفض إلى الأسفل قليلا، رغم أنها تطفو في الهواء.

بينما هي تطفو، تسقط.. وهكذا، تُكسى جميع أشيائنا بالغبار : أثاث منازلنا، ملابسنا..

وفي هذه الآونة يسقط الغبار على كل الأشياء، على الكتب، على هذه الأوراق، على هذه الطاولة.. وعلى زئبق هذا الوعاء.. سأثبت لكم أنه من غير الممكن لمس هذا الزئبق، أو القيام بمناولة (manipulation) عليه.. أو وضع اليد أو قنينة عليه، دون إدخال الأغبرة الموجودة على سطح الزئبق إلى الوعاء.

لكي أجعل، الاختبار الذي سأُخضع له سطح وعاء الزئبق، واضحا، سأُحدث الظلمة، وسأضيء الوعاء وحده، ثم بعد ذلك سأرش عليه الغبار بكميات كبيرة.

إذا تم هذا، نُدخل شيئا -أيا كان- في زئبق الوعاء: [وليكن] عصا زجاجية مثلا.

بعد ذلك فورا، سترون أن الأغبرة تسير وتتوجه كلها نحو المكان الذي أُدخلت فيه العصا الزجاجية، وأنها نفذت إلى المساحة الواقعة بين الزجاج والزئبق، لأن الزئبق لا يبلل الزجاج.

ما هي -سادتي- نتيجة هذا الاختبار البسيط جدا والخطير في نفس الوقت، فيما يخص النقطة التي تشغلنا؟

إنه من غير الممكن القيام بأي مناولة على وعاء الزبئق دون أن تَنْفُذَ الأغبرة الموجودة على سطح الزئبق، إلى داخل الوعاء.

صحيح أن السيد **بوشي** أبعد الأغبرة باستخدام غاز الأوكسجين، الهواء الإصطناعي، وأبعد الجراثيم التي يمكن أن تكون في الماء والقش .. ولكن الذي لم يبعده، هو الأغبرة وبالتالي الجراثيم الموجودة على سطح الزئبق.

ومع ذلك سأذهب إلى أبعد من هذه التجربة.

أثبتُ الآن أنه من غير الممكن القيام بمناولة على وعاء الزئبق دون إدخال الأغبرة الموجودة على سطح الزئبق، إلى الوعاء.

ولكن عندما قلت "الأغبرة" و أضفت: "وبالتالي الجراثيم"، ذهبت أبعد من التجربة.

ما الذي بقي أن أفعله ؟

يجب أن أُثبت أن الأغبرة التي تطفو في الهواء تضم جراثيم الكائنات السفلى.

حسنا -سادتي-، لا يوجد أسهل من جمعِ الأغبرة الموجودة في الهواء -أيّا كان موقع مكان قيامنا بهذا، في العالم-، فحصِها بالمجهر، دراسةِ مكوناتها، ثم رؤيةِ ما تضمه.

هذا أنبوب زجاجي مفتوح من كلا طرفيه.

منذ قليل، رأيتم أنه يوجد غبار في القاعة.. وهو موجود في كل مكان.

عندما أستنشق [بواسطة الأنبوب الزجاجي]، فإنني أُدخل بذلك الأغبرة المنتشرة بالهواء، في فمي و رئتيَّ. وإذا أردت إطالة هذا الإستنشاق، فلا يسعني إلا أن أوصل طرف الأنبوب بإناء مملوء بالماء.

سنسمع فورا، صوت الاستنشاق. وبالتالي واضح أن الأغبرة تمر داخل الأنبوب.

غير أنه، إذا وضعت حشوة من القطن في هذا الأنبوب، فجليٌّ -إذا لم تكن قطعة القطن، مكومَّة كثيرا، بحيث تمنع مرور الهواء- أن الغبارَ سيبقى في معظمه، أو تقريبا كله في القطن.

سأفترض أن التجربة قد أُنجزت.

وها هي واحدة من تلك الحشوات المُحَمَّلة [بالأغبرة].

يستطيع الأشخاص القريبون أن يروا أنها تكاد تكون سوداء.

ولا يوجد أسهل من جعل قليل من الماء، في هذا الزجاج الساعتي (verre de montre)، حيث أضع حشوة القطن، ثم أعجنها بين الأصابع وأجعل قطرة من هذا الماء -الذي يُبقي الغبار عالقا- تَسقُط على صفيحة زجاجية، وأترك الماء يتبخر، ثم أضيف قطرة ثانية، فثالثة.. وهلم جرا ..

وهكذا تتراكم على هذه الصفيحة الزجاجية، كميةٌ كبيرة من الغبار الذي كان في حشوة القطن.. ثم نلاحظ بالمجهر ..

سيُظهر السيد "ديهوسك" (Duhosq) صورة الأغبرة المُجمَّعة من الأتموسفير.

سترون فيها كثيرا من الأشياء اللابلورية (amorphes): سُخام (la suie)، كربونات الكلس، وربما هناك أجزاء صغيرة من الصوف والحرير والقطن ، المنزوعة من ملابسكم.

ولكنكم ستلمحون، وسط هذه الأشياء اللابلورية، جسيمات مثل هذه .. والتي من الواضح أنها، جُسيمات مُتعضية.

إذن فالجسيمات المتعضية تكون دائما مرتبطة بالأغبرة اللابلورية التي تطفو في الهواء ..

لقد أثبتنا قبل قليل أن السيد "**بوشي**" أخطأ، لأنه استعمل "وعاء الزئبق" في تجاربه الأولى.

لنلغِ استعمال وعاء الزئبق، لأننا أدركنا أنه يؤدي إلى أخطاء لا مفر منها ..

ها هو ذا -سادتي-، نقيع مادة عضوية في منتهى الصفاء، صافٍ كالماء المُقَطَّر، و"عنده قابلية كبيرة للتَلَف" (Altérable).

لقد حُضِّر اليوم .. وغدا، سوف يضم حُبيَّات، ونقاعيات صغيرة، ونديفاتِ تعفن ..

سأضع جزءاً من نقيع هذه المادة العضوية في إناء ذي عنق طويل، مثل هذا ..

أفترض أنني غليت السائل وبعد ذلك تركته يبرد.

بعد أيام قليلة، سنجد تعفنات أو حُبيبات نُقاعية متطورة في السائل.

عندما قمت بعملية الغلي، دمَّرت الجراثيم التي يمكن أن توجد في السائل وعلى سطح جدران الإناء.

ولكن حيث أن هذا النقيع مُعرض للهواء، فإنه يفسد، ككل النقيعات.

سأفترض الآن أنني أعدت هذه التجربة، ولكن قبل غلي السائل، سأمدد عنق الحوجلة بمِشعل [أداة لتليين الزجاج] (lampe d'émailleur)، بحيث أُرفِّعُهُ، مع إبقاء طرفه مفتوحا ..

إذا تمَّ هذا، أقوم بغلي السائل، ثم بعد ذلك أتركه يبرد.

غير أن سائل هذه الحوجلة الثانية سيبقى غير فاسد، ليس ليومين، ولا لثلاث، ولا لأربع .. ليس لشهر، ولا لسنة، بل لثلاث أو أربع سنوات، لأن التجربة التي أكلمكم عنها لها هذه المدة.

يبقى السائل في منتهى الصفاء كالماء المُقطَّر.

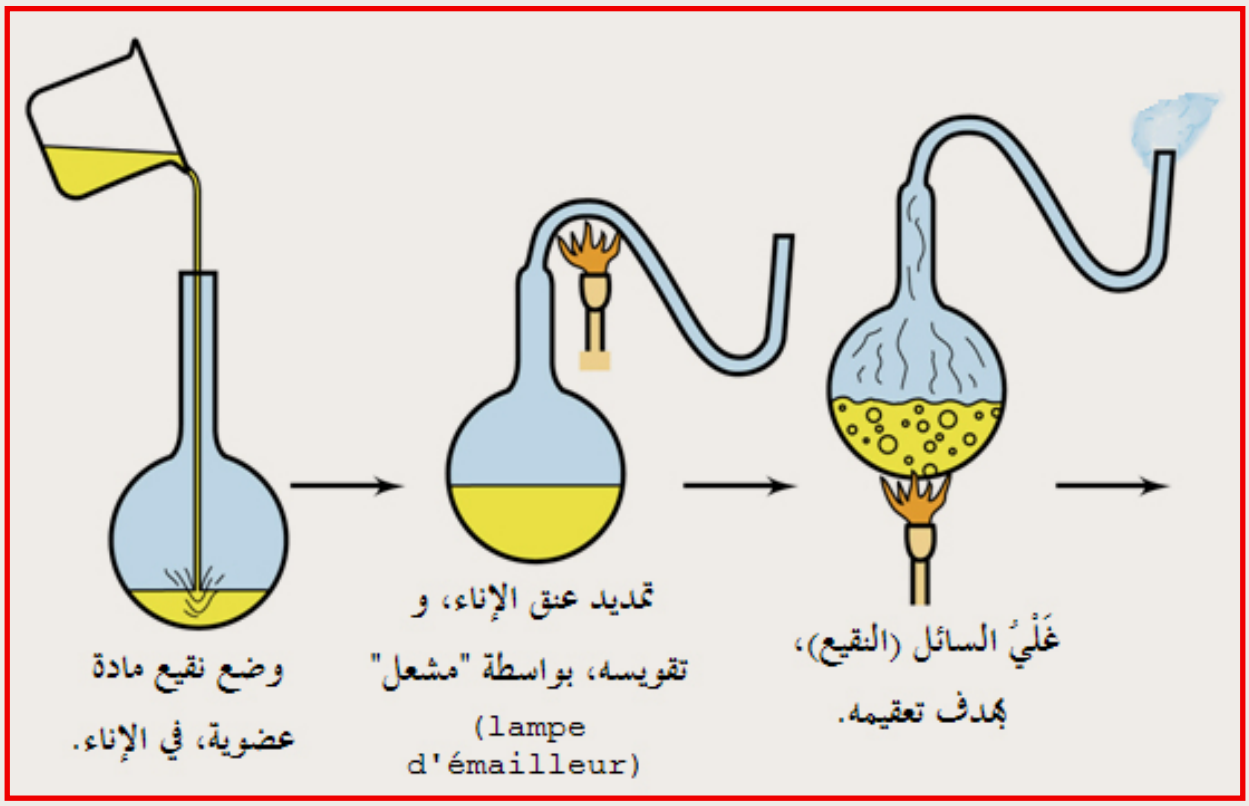

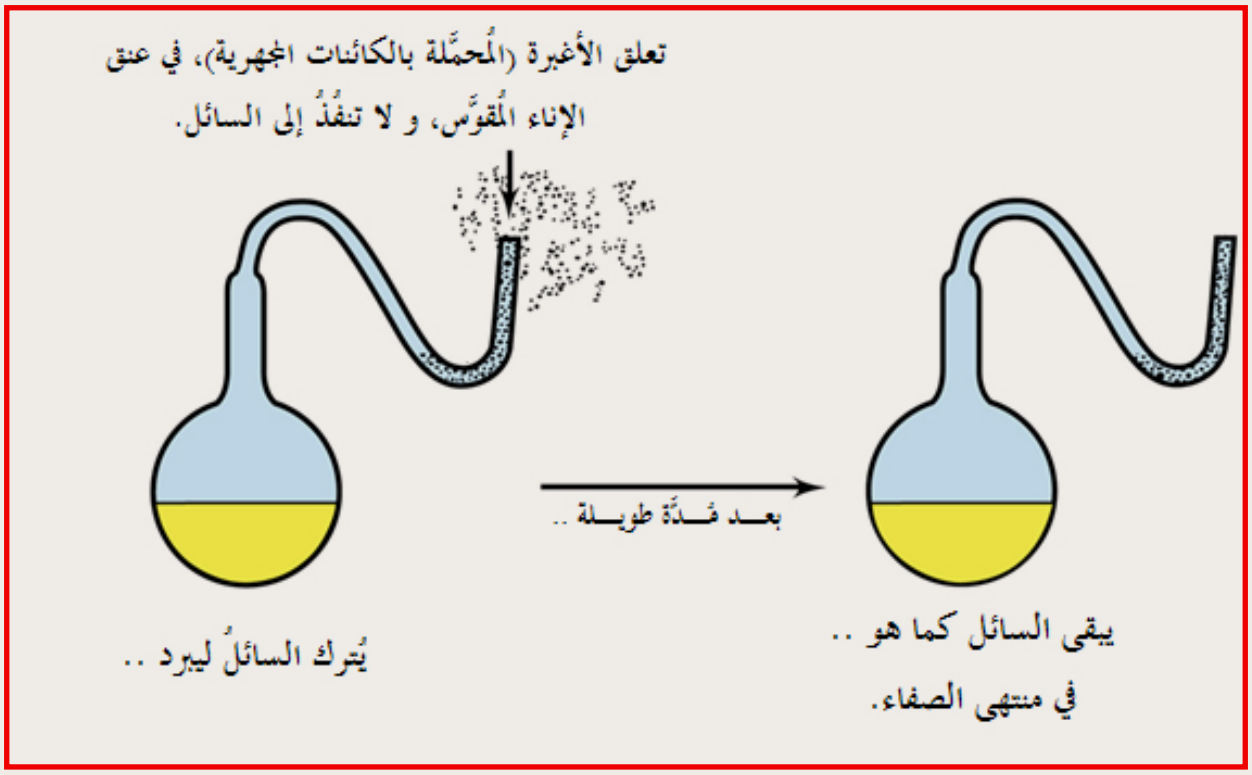

فما هو الفرق بين الإناءين إذن؟ يضُمَّان نفس السائل، يضم كلاهما الهواء، فهل كلاهما لا يفسد؟

ها هو الفرق الوحيد -سادتي-، الموجود بين الإناءين:

في هذا [يقصد الإناء الأول]، يمكن للأغبرة العالقة في الهواء ولجراثيمها، أن تسقط في عنق الإناء وتصل لتلامس السائل، حيث توجد الأطعمة المناسبة، فتنمو.. ومن هنا أتت الكائنات المجهرية.

على عكس ذلك، فهنا [يقصد الإناء الثاني]، لا يمكن أو على الأقل، صعب -إلَّا إذا تمت إثارة الهواء بشدة- أن تدخل الأغبرة العالقة في الهواء إلى الإناء.

فإلى أين تذهب؟ إنها تسقط في العنق [عنق الإناء] المُقوَّس.

عندما يدخل الهواء إلى الإناء، تبعا لقوانين الانتشار (diffusion)، وتغيرات الحرارة، بدون فُجائية.. فذلك يكون ببطء، و ببطء كافٍ بحيث تسقط الأغبرة و جميع الأجسام الصغيرة الصلبة التي تحملها، في فتحة العنق، أو يتوقف في الجزء الأول من التقوس.

هذه التجربة -سادتي- حافلة بالدروس.

لاحظوا جيدا، أن كل ما في الهواء، كل شيء، ما عدا الأغبرة، يمكنه أن يدخل بسهولة إلى داخل الإناء، ليلامس السائل.

تخيلوا وجود ما تريدون، في الهواء: كهرباء، مغناطيسية، أوزون، وحتى الذي لا زلنا لا نعلمه.. الكل يمكن أن يدخل ويلامس النقيع.

لا يوجد إلا شيء واحد لا يمكنه أن يدخل بسهولة، إنها الأغبرة العالقة في الهواء، والدليل على هذا، هو أنه إذا حرَّكْنَا الإناء بشدة، مرتين أو ثلاث مرات، فإنها ستضم حُيبات وعفنا في غضون يومين أو ثلاث أيام.

لماذا ؟

لأن دخول الهواء حصل فجأة، حاملا معه الأغبرة.

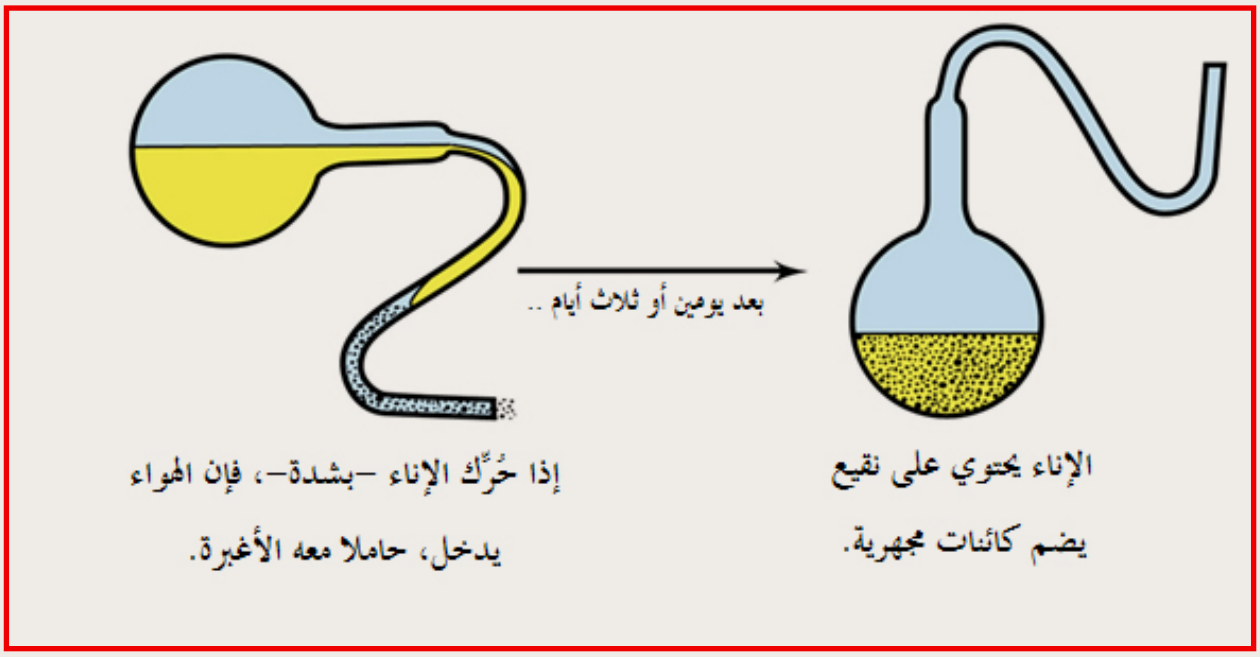

وبالتالي -سادتي-، أنا أيضا يمكن أن أقول، وأنا أُبرز لكم هذا السائل:

أخذت من شساعة الخلق، قطرة ماء، وأخذتها مليئة "بالهلام الخصب" (la gelée féconde)، وهذا يعني -ولنتحدث لغة العلم- أنها مليئة بالعناصر المناسبة لنمو الكائنات الدنيا.

وأنتظر وألاحظ.. أسألها وأطلب منها أن تُنتج لي الخلق الأول.. سيكون هذا مشهدا رائعا!

ولكنها صامتة! إنها صامتة منذ سنين عديدة، من بداية هذه التجارب.

آهْ !.. الذي أبعدتُه عنها، والذي أُبعده عنها الآن: الشيء الوحيد الذي لم يستطع الإنسان إنتاجه.. لقد أبعدت عنها الجراثيم التي تطفو في الهواء، لقد أبعدت عنها الحياة، لأن الحياة هي الجراثيم، والجراثيم هي الحياة.

لن ينهض مذهب التولد التلقائي أبدا من هذه الضربة المميتة التي وَجَّهَتْهَا إليه هذه التجربة البسيطة.

إلى هنا ينتهي كلام باستور.. وتبدأ معه نهاية نظرية التولد التلقائي..

ورغم الانتقادات التي وُجِّهت لأعمال باستور فيما بعد..:

كإشكالية "bacillus subtilis".. (في ما يخص هذه النقطة فقد بدَّدَ العالم "**John Tyndall**" (١٨٢٠-١٨٩٣) آمال الماديين بالكُلِّية..).

وكونه عالما مؤمنا بالله، وبالتالي كان غرضه نقض تلك النظرية المادية، من منطلق إيمانه..!! (وهنا نكتفي بما قاله باستور عن نفسه، في المحاضرة).

إلا أن تلك الأعمال وجَّهت ضربة مُميتة حقا إلى نظرية مادية عمَّرت ردحا من الزمن.. وهي واحدة من الضربات المُميتة التي وجهها العلم إلى المادية الإلحادية..

دُمتم في رعاية الرحمن

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

قال الحسن البصري رحمه الله تعالى:

السنة – والذي لا إله إلا هو – بين الغالي والجافي. فاصبروا عليها رحمكم الله، فإن أهل السنة كانوا أقل الناس فيما مضى، وهم أقل الناس فيما بقي: الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم، ولا مع أهل البدع في بدعهم، وصبروا على سنتهم حتى لقوا ربهم فكذلك إن شاء الله فكونوا .

DžF2NJ‡IIC hukF3a

(ēĐ/Č)

WWW.ELTWHED.COM

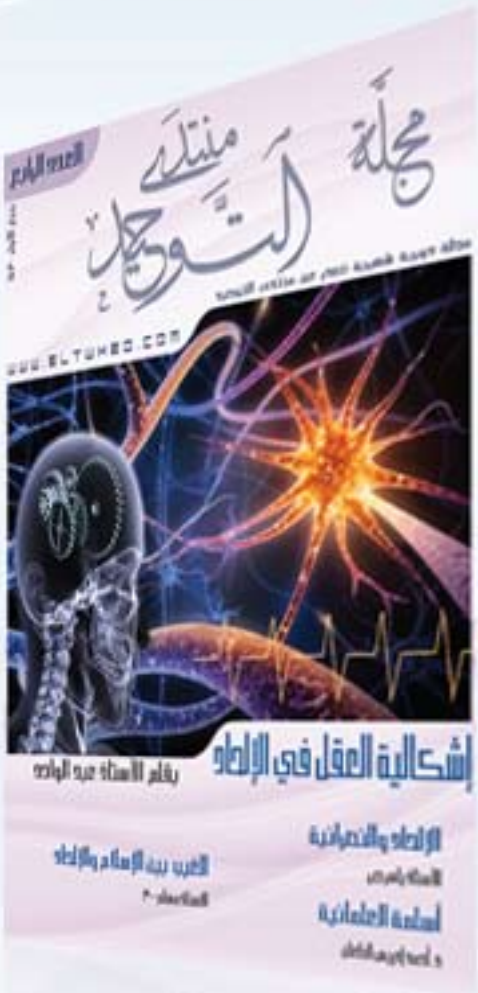

منتدى مجلة التوحيد

جميع الحقوق محفوظة لموقع منتدى التوحيد، لتواصلكم واقتراحاتكم زوروا منتدانا